سُورَةُ المُلْكِ (١)

مكية وآياتها ثلاثون آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١ ٱلَّذِي خَلَقَ
ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ٢
ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن
تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ٣ ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ
يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئٗا وَهُوَ حَسِيرٞ ٤ وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ
ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلۡنَٰهَا رُجُومٗا لِّلشَّيَٰطِينِۖ وَأَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابَ
ٱلسَّعِيرِ ٥

شرح الكلمات :

تبارك الذي بيده الملك : أي تعاظم وكثُر خير الذي بيده الملك أجمع ملكاً وتصرفا وتدبيراً.

وهو على كل شيء قدير : أي وهو على إيجاد كل ممكن وإعدامه قدير.

الذي خلق الموت والحياة : أي أوجد الموت والحياة فكل حيّ هو بالحياة التي خلق الله وكل ميّت هو بالموت الذي خلق الله.

ليبلوكم أيكم أحسن عملا : أي أحياكم ليختبركم أيكم يكون أحسن عملا ثم يميتكم ويحييكم ليجزيكم.

وهو العزيز الغفور : أي وهو العزيز الغالب على ما يريده الغفور العظيم المغفرة للتائبين.

---

(١) وتسمى الواقية والمنجية وورد في فضلها أحاديث أصحها حديث السنن وهو قوله ﷺ ان سورة في القرآن ثلاثين آية شفعت لصاحبها حتى غفر له: تبارك الذي بيده الملك.

طباقا : أي طبقة فوق طبقة وهي السبع الطباق ولا تماسّ بينها.
ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت : أي من تباين وعدم تناسب.
هل ترى من فطور : أي من شقوق أو تصدع.
كرتين : أي مرتين مرة بعد مرة.
خاسئا وهو حسير : أي ذليلا مبعداً كالاًّ تعباً منقطعاً عن الرؤية إذ لا يرى خللا.
بمصابيح : أي بنجوم مضيئة كالمصابيح.
رجوما للشياطين : أي مراجم جمع مرجم وهو ما يرجم به أي يرمى.
وأعتدنا لهم عذاب السعير : أي وهيأنا لهم عذاب النار المسعّرة الشديدة الاتّقاد.

معنى الآيات:

قوله ﴿تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير﴾ مجّد الربّ تعالى نفسه وعظمها وأثنى عليها بما هو أهله من الملك والسلطان والقدرة والعلم والحكمة فقال عز وجل تبارك[1] أي تعاظم وكثر خير الذي بيده الملك الحقيقي يحكم ويتصرف ويدبر بعلمه وحكمته لا شريك له في هذا الملك والتدبير والسلطان. ﴿وهو على كل شيء قدير﴾ فما أراد[2] ممكنا إلا كان، ولا أراد انعدام ممكنٍ إلا انعدم. الذي خلق الموت[3] والحياة لحكمة عالية لا باطلا ولا عبثا كما يتصور الكافرون والملاحدة الدهريون بل ﴿ليبلوكم[4] أيكم أحسن عملاً﴾ أي خلق الحياة بكل ما فيها، ليذكر ويشكر من عباده فمن ذكر وشكر وأحسن ذلك، أعدّ له جناتٍ ينقله إليها بعد نهاية الحياة والعمل فيها، ومن لم يذكر ولم يشكر أو ذكر وشكر ولم يحسن ذلك بأن لم يخلص فيه لله، ولم يؤده كما شرع الله أعدّ له ناراً ينقله إليها بعد نهاية الحياة الدنيا حياة العمل، إذ هذه الحياة للعمل، وحياة الآخرة للجزاء على العمل. وقوله تعالى ﴿وهو العزيز الغفور﴾ ثناء آخر أثنى به تعالى على نفسه فأعلم أنه العزيز الغالب الذي لا يُحال بينه وبين ما يريد الغفور العظيم المغفرة إذ يغفر الذنوب للتائب ولو كانت مثل الجبال وزبد البحر. وقوله ﴿الذي خلق سبع سموات طباقاً﴾ هذا ثناء آخر بعظيم القدرة وسعة

---

(١) القرطبي: تبارك قال الحسن تقدس، وقيل دام فهو الدائم الذي لا أول لوجوده ولا آخر لدوامه.
(٢) التعبير بالممكن وغير الممكن فيه جواب لمن قال من المبطلين إن كان الله على كل شيء قديراً فهل يقدر أن يخلق الهاً مثله: والجواب أن خلق إله مثل الله غير ممكن فلذا لا يخلقه سبحانه وتعالى.
(٣) قدم ذكر الموت على الحياة لأن الموت أكبر واعظ للإنسان. قال العلماء الموت ليس عدماً محضاً ولا فناءً صرفاً، وإنما هو انقطاع تعلق الروح بالبدن ومفارقته، وحيلولة بينهما وتبديل حال وانتقال من دار إلى دار. والحياة عكس ذلك.
(٤) ليبلوكم أي ليعاملكم معاملة المختبر لكم فيرى أحسنكم عملاً من أسوأه وقد رتب الجزاء على ذلك، وأحسن العمل أخلصه وأصوبه أي أخلصه لله تعالى وأصوبه أي أداؤه كما شرعه بلا زيادة ولا نقصان.

العلم والحكمة خلق سبع سموات طباقا سماء فوق سماء مطابقة لها ولكن من غير مماسة إذ ما بين كل سماء وأخرى هواء وفراغ مسيرة خمسمائة عام فالمطابقة المعادلة والمساواة في الجرم لا بوضع سماء على الأخرى كغطاء القدر مثلا. وقوله ﴿ماترى في خلق الرحمن من تفاوت﴾ أي من اختلاف أو تضاد وتباين والسماء فوقك فإنك لا تجد إلّا الاتّساق والانتظام لا تصدع ولا انفطار وإن شئت فارجع البصر وانظر هل ترى من فطور أي إنك لا ترى ذلك ثم ارجع البصر كرتين[1] فإنك لا تجد تفاوتا ولا تبايناً أبداً ولو نظرت الدهر كله كل ما في الأمر أن بصرك أيها الناظر إلى السماء يرجع إليك خاسئا أي ذليلا مبعداً[2] مما أراد، وهو حسير أي كليل تعب وقوله تعالى ﴿ولقد زيّنا السماء الدنيا﴾ أي هذه الدانية من الأرض القريبة منها بمصابيح[3] هي النجوم والكواكب. وجعلناها أي النجوم رُجُوماً[4] للشياطين ترجم بها الملائكة شياطين الجن الذين يريدون استراق السمع من كلام الملائكة حتى لا يفتنوا الناس في الأرض عن دين الله عز وجل. وقوله تعالى ﴿وأعتدنا لهم عذاب السعير[5]﴾ أي وهيأنا للشياطين عذاب السعير يعذبون به يوم القيامة كسائر الكافرين من الإنس والجن.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- تقرير ربوبية الله تعالى بعرض دلائل القدرة والعلم والحكمة والخير والبركة وهي موجبة لألوهيته أي عبادته دون من سواه عز وجل.

٢- بيان الحكمة من خلق الموت والحياة.

٣- بيان الحكمة من خلق النجوم وهي في قول قتادة رحمه الله: أن الله جل ثناؤه إنما خلق هذه النجوم لثلاث خصال: زينة لسماء الدنيا، ورجوما للشياطين، وعلامات يهتدى بها.[6]

---

(١) كرتين منصوب على المصدر لأن الكرة الرجعة فكرتين بمعنى رجعتين أي مرة بعد أخرى والعامل فارجع.

(٢) يقال خسئت الكلب أي أبعدته وطردته.

(٣) سميت الكواكب مصابيح لإضائتها.

(٤) الرجوم جمع رجم وهو اسم لما يرجم به أي ما يرمى به الرامي من حجر وغيره من باب تسمية المفعول بالمصدر مثل الخلق للمخلوق والرد للمردود، والمراد من النجوم التي يرمى بها هي الشهب التي تنفصل عن النجوم والكواكب، وجائز أن تكون كواكب صغيرة تُرمى بها الشياطين شأنها شأن الشهب لحديث: الكوكب الذي انقض البارحة..

(٥) لا يقولن قائل: الشياطين خلقوا من نار فكيف يعذبون بها؟ والجواب: السعير أقوى من مادة النار التي خلقوا منها كما أن الشياطين تحولوا عن أصل المادة التي خلقوا منها. تحول الإنسان من طين إلى لحم وعظم وعصب ودم.

(٦) تمام قوله: فمن تأول فيها غير ذلك فقد تكلف مالا علم له به، وتعدى وظلم.

وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ
(٦) إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ (٧) تَكَادُ تَمَيَّزُ
مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ (٨)
قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ
إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ (٩) وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ
ٱلسَّعِيرِ (١٠) فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ (١١)

شرح الكلمات:

كفروا بربهم : أي لم يؤمنوا به فلم يعبدوه.

إذا ألقوا فيها : أي في جهنم ألقتهم الملائكة فيها وذلك يوم القيامة.

سمعوا لها شهيقا : أي سمعوا لجهنم صوتاً منكراً مزعجا كصوت الحمار.

وهي تفور تكاد تميز من الغيظ : أي تغلي تكاد تتقطع من الغيظ غضباً على الكفار.

سألهم خزنتها : سؤال توبيخ وتقريع وتأنيب.

ألم يأتكم نذير : أي رسول ينذركم عذاب الله يوم القيامة؟.

وقلنا ما نزل الله من شيء : أي كذبنا الرسل وقلنا لهم ما نزل الله مما تقولون لنا من شيء.

إن أنتم إلا في ضلال كبير : أي ما أنتم أيها الرسل إلاّ في ضلال كبير أي خطأ عقلي وتصور نفسي باطل.

لو كنا نسمع أو نعقل : أي وبخوا أنفسهم بأنفسهم وقالوا لو كنا في الدنيا نسمع أو نعقل لآمنا وعبدنا الله وما كنا اليوم في أصحاب السعير.

معنى الآيات:

لما ذكر تعالى في الآيات السابقة أنه أعد للشياطين مسترقي السمع من الملائكة في السماء عذاب السعير عطف عليه قوله ﴿وللذين كفروا بربهم﴾(1) أي جحدوا ألوهيته ولقاءه فما عبدوه ولا

---

(١) هذا تتميم للكلام السابق أي كما كان للشياطين عذاب السعير فللذين كفروا عذاب جهنم وبئس المصير.

آمنوا به من الإنس والجن عذاب جهنم وبئس المصير هي أي جهنم يصيرون إليها وينتهون إلى عذابها شرابها الحميم وطعامها الضريع والزقوم، وقوله تعالى في وصف ما يجري في النار ﴿إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقا﴾[1] إذا ألقي الكافرون في النار سمعوا لها شهيقا أي صوتا منكراً مزعجاً كصوت الحمار إذا شهق أو نهق. ﴿وهي تفور﴾ تغلي[2] ﴿تكاد تميّز﴾[3] أي تقرب أن تتقطع من الغيظ الذي هو شدة الغضب وغضبها من غضب الرب مالكها لما غضب الجبار غضبت لغضبه، وكل مؤمن بالله عارف به يغضب لما يغضب له ربّه ويرضى لما يرضى به ربّه. وقوله تعالى ﴿كلما ألقي فيها فوج﴾ أي جماعة ﴿سألهم خزنتها﴾ أي الملائكة الموكلون بالنار وعذابها وهم الزبانية وعددهم تسعة عشر ملكاً سألوهم سؤال توبيخ وتقريع لأنهم يعلمون ما يسألونهم عنه ﴿ألم يأتكم[4] نذير﴾ أي رسول في الدنيا يدعوكم إلى الإيمان والطاعة؟ فيجيبون قائلين ﴿بلى﴾ قد جاءنا نذير ولكن كذبنا الرسل وقلنا لهم ردًا على دعوتهم ﴿ما نزّل الله من شيء﴾ أي مما تقولون وتدعوننا إليه ﴿إن أنتم إلا في ضلال كبير﴾[5] أي وقلنا لهم ما أنتم أيها الرسل إلاّ في ضلال عقلي وخطأ تصوري كبير. ثم رجعوا إلى أنفسهم يوبخونها بما أخبر تعالى به عنهم في قوله ﴿وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير﴾ قال تعالى ﴿فاعترفوا بذنبهم فسحقاً﴾ أي بعداً بعداً من رحمة الله ﴿لأصحاب السعير﴾ أي سعير جهنم.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- تقرير عقيدة البعث والجزاء ببيان ما يجري فيها من عذاب وعقاب.

٢- بيان أن تكذيب الرسل كفر موجب للعذاب، وتكذيب العلماء كتكذيب الرسل بعدهم أي في وجوب العذاب المترتب على ترك طاعة الله ورسوله.

٣- بيان أن ما يقوله أهل النار في اعترافهم هو ما يقوله الملاحدة اليوم في ردهم على العلماء بأن التديّن تأخر عقلي ونظر رجعي.

٤- تقرير أن الكافر اليوم لا يسمع ولا يعقل أي سماعاً ينفعه وعقلاً يحجزه عن المهالك باعتراف أهل النار إذ قالوا ﴿لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير﴾.

(١) قال عطاء الشهيق في الصدور والزفير في الحلق.

(٢) قال حسان:

تركتم قدركم لا شيء فيها وقدر القوم حامية تفور

أي تغلي.

(٣) أصل تميز تتميز أي تنقطع وينفصل بعضها عن بعض قيل هذا التغيظ هو من شدّة الغيظ على أعداء الله، وقيل هو من الغليان.

(٤) الاستفهام للتقريع والتوبيخ.

(٥) إن أنتم إن نافية بدليل الاستثناء بعدها.

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾
وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا
يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ
ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ


شرح الكلمات :

يخشون ربهم بالغيب : أي يخافونه وهم غائبون عن أعين الناس فلا يعصونه .

لهم مغفرة وأجر كبير : أي لذنوبهم وأجر كبير هو الجنة .

ألا يعلم من خلق : أي كيف لا يعلم سركم كما يعلم جهركم وهو الخالق لكم فالخالق يعرف مخلوقه .

وهو اللطيف الخبير : أي بعباده الخبير بهم وبأعمالهم .

ذلولا : أي سهلة للمشي والسير عليها .

فامشوا في مناكبها : أي في جوانبها ونواحيها .

وإليه النشور : أي إليه وحده مهمة نشركم أي إحياءكم من قبوركم للحساب والجزاء .

معنى الآيات :

لما ذكر تعالى جزاء الكافرين وأنه عذاب السعير رغب في الإيمان والطاعة للنجاة من السعير فقال ﴿إنَّ الذين يخشون ربهم[1] بالغيب﴾ أي يخافونه وهم لا يرونه ، وكذا وهم في غيبة عن الناس فيطيعونه ولا يعصونه هؤلاء لهم مغفرة لما فرط من ذنوبهم وأجر كبير عند ربهم أي الجنة . ولما قال بعض المشركين في مكة لاتجهروا بالقول فيسمعكم إله محمد فيطلعه على قولكم قال تعالى ردًا عليهم وتعليما ﴿وأسروا قولكم أو اجهروا به﴾ فإنه يعلم السر وما هو أخفى منه كحديث

---

(١) بعد ذكر جزاء أهل الكفر والشرك والشر والفساد ذكر تعالى جزاء أهل الإيمان والتوحيد والخير والصلاح فكان الأسلوب أسلوب الترهيب والترغيب الذي عرف به القرآن الكريم كتاب الهداية الإلهية .

النفس وخواطرها ﴿إنه[1] عليم بذات الصدور﴾ أي بما هو مكنون مستور في صدور الناس ﴿ألا يعلم من[2] خلق﴾ أي كيف لا يعلم من خلقهم وهو اللطيف بهم الخبير بأحوالهم وأعمالهم. وقوله تعالى ﴿هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا﴾ أي[3] سهلة فامشوا في مناكبها جوانبها ونواحيها شرقاً وغرباً وكلوا من رزقه الذي خلق لكم، وإليه وحده نشوركم أي إحيائكم واخراجكم من قبوركم ليحاسبكم ويجزيكم على إيمانكم وطاعتكم بخير الجزاء وهو الجنة ونعيمها، وعلى كفر من كفر منكم وعصى بشر الجزاء وهو النار وعذابها.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- فضيلة الإيمان بالغيب ومراقبة الله تعالى في السّرّ والعلن.

٢- مشروعية السير في الأرض لطلب الرزق من التجارة والفلاحة وغيرهما.

٣- تقرير عقيدة البعث والجزاء.

ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ
تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا
فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ
كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا
يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾

شرح الكلمات:

أن يخسف بكم الأرض : أي يجعلها بحيث تغورون فيها وتصبحون في جوفها.

فإذا هي تمور : أي تتحرك وتضطرب حتى يتم الخسف بكم.

أن يرسل عليكم حاصباً : أي ريحاً عاصفاً نرميكم بالحصباء فتهلكون.

كيف نذير : أي كان عاقبة انذاري لكم بالعذاب على ألسنة رسلي.

---

(١) إنه عليم بذات الصدور الجملة تعليل للتسوية بين السر والجهر من أقوال المشركين نحو قوله أصبروا أو لا تصبروا أي استوى عنده السر والجهر كما استوى عند أهل النار الصبر والجزع.

(٢) ألا يعلم السر من خلق السر أي أنا خلقت السر في القلب أفلا أكون عالماً بما في قلوب العباد. إذ لا بد وأن يكون الخالق عالماً بما خلق والاستفهام إنكاري وجملة وهو اللطيف الخبير في محل نصب حال.

(٣) ذلولاً فعول بمعنى مفعول أي مذللة مسخرة منقادة لما تريدون منها من مشي عليها وزرع وغرس وبناء وإنشاء وتعمير.

فكيف كان نكير : أي إنكاري عليهم الكفر والتكذيب والجواب كان إنكاراً حقاً واقعاً موقعه.

صآفات : أي باسطات أجنحتها.

ويقبضن : أي ويمسكن أجنحتهن.

ما يمسكهن إلاّ الرحمن : أي حتى لا يسقطن على الأرض حال البسط للأجنحة والقبض لها.

معنى الآيات:

يقول تعالى واعظاً عباده ليؤمنوا به ويعبدوه وحده فيكملوا ويسعدوا أأمنتم[1] من في السماء الذي هو العلو المطلق وهو الله عز وجل في علياته فوق عرشه بائن من خلقه أن يخسف بكم الأرض لتهلكوا كلكم في جوفها فإذا هي حال الخسف تمور أي تتحرك وتضطرب حتى تغورو في بطنها والجواب لم يأمنوا ذلك فكيف إذاً يصرون على الشرك والتكذيب للرسول وقوله ﴿أم أمنتم من[2] في السماء﴾ وهو الله عز وجل أن يرسل عليكم حاصباً أي ريحاً تحمل الحصباء والحجارة فتهلكهم ﴿فستعلمون كيف نذير﴾ أي إنذاري لكم الكفر والتكذيب أي انه حق وواقع مقتضاه وقوله تعالى ﴿ولقد كذب الذين من قبلهم﴾ كعاد وثمود وغيرهما أي كذبوا رسلي بعدما أنكروا عليهم الشرك والكفر فأهلكناهم ﴿فكيف كان نكير﴾ أي إنكاري لهم كان حقاً وواقع المقتضى وقوله تعالى ﴿أولم يروا[3] إلى الطير فوقهم صآفات﴾ أي باسطات أجنحتهن ويقبضنها ما يمسكهن في حالة البسط أو القبض إلا الرحمن الذي أنكره المشركون وقالوا وما الرحمن وهم يعيشون في رحمته التي وسعت كل شيء وهي متجلية حتى في الطير تحفظه من السقوط والتحطيم أي أينكرون ألوهية الله ورحمته ولم يروا إلى الطير وهي صافات وقابضات أجنحتها ولا يمسكها أحد من الناس فمن يمسكها إذاً؟ إنه الرحمن جل جلاله وعظم سلطانه بما شاء من السنن والنواميس التي يحكم بها خلقه ويدبر بها ملكوته إن أمر المشركين في كفرهم بالله لعجب وقوله ﴿إنه بكل شيء

---

(١) قال ابن عباس رضي الله عنهما أأمنتم عذاب من في السماء إن عصيتموه يريد أن يصيبكم به إن أصررتم على تكذيبه وتكذيب رسوله. هكذا عقيدة السلف في إثبات صفة العلو لله تعالى، وأما الخلف فيقولون: أأمنتم من في السماء قدرته وسلطانه وعرشه وملائكته هروباً إلى التأويل حتى لا يصفوا الله تعالى بما وصف به نفسه من العلو الذاتي فما أضل القوم والاستفهام إنكاري أي ينكر عليهم أمنهم من الخسوف بهم وهم قائمون على معاصي توجب لهم ذلك.

(٢) أم: هي المنقطعة التي تؤول ببل والاستفهام وهو إنكاري تعجبي ينكر عليهم أمنهم من عذاب الله بإرسال حجارة من السماء كما أرسلها على قوم لوط فتهلكهم كما أهلكتهم إذ هم متعرضون لذلك بتكذيبهم وشركهم وكفرهم وحذفت الياء من نذيري ونكيري وهي ضمير المتكلم حذفت تخفيفاً.

(٣) الهمزة داخلة على محذوف أي اغفلوا ولم يروا إلى الطير فوقهم حال كونها صافات أجنحتها وتقبضها أحياناً ولم تسقط فتتجلى لهم قدرة الله ورحمته ليؤمنوا ويطيعوا فينجوا ويسعدوا.

بصير﴾ سواء عنده السابح في الماء والسارح في الغبراء والطائر في السماء والمستكن في الأحشاء.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- تحذير المعرضين عن الله وإنذارهم بسوء العواقب إن استمروا على إعراضهم فإن الله قادر على أن يخسف بهم الأرض أو يرسل عليهم حاصباً من السماء وليس هناك من يؤمّنهم ويجيرهم بحال من الأحوال. إلا إيمانهم وإسلامهم لله عز وجل.

٢- في الهالكين الأولين عبر وعظات لمن له قلب حيٌّ وعقل يعقل به.

٣- من آيات الله في الآفاق الدالة على قدرة الله وعلمه ورحمته الموجبة لعبادته وحده طيران الطير في السماء وهو يبسط جناحيه ويقبضهما ولا يسقط إذ المفروض أن يبقى دائما يخفق بجناحيه يدفع نفسه فيطير بمساعدة الهواء أما إذا قبض أو بسط المفروض أنه يسقط ولكن الرحمن عز وجل يمسكه فلا يسقط.

أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى
هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ
﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ
وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا
عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ
وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ
فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ
صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾
فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى
كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾

شرح الكلمات:

جند لكم : أي أعوان لكم.

من دون الرحمن : أي غيره تعالى يدفع عنكم عذابه.

إن الكافرون : أي ما الكافرون.

إلا في غرور : غرهم الشيطان بأن لا عذاب ينزل بهم.

إن أمسك رزقه : أي إن أمسك الرحمن رزقه؟ لا أحد غير الله يرسله.

بل لجوا في عتو ونفور : أي إنهم لم يتأثروا بذلك التبكيت بل تمادوا في التكبر والتباعد عن الحق.

أفمن يمشي مكبا : أي واقعا على وجهه.

أمن يمشي سويًا : أي مستقيما.

والأفئدة : أي القلوب.

قليلا ما تشكرون : أي شكركم قليل.

ذرأكم في الأرض : أي خلقكم في الأرض وإليه تحشرون لا إلى سواه.

متى هذاالوعد : أي الذي تعدوننا به وهو يوم القيامة.

قل إنما العلم عند الله : أي علم مجيئه عند الله لا غير.

فلما رأوه زلفة : أي لما رأوا العذاب قريباً منهم في عرصات القيامة.

سيئت وجوه الذين كفروا : أي تغيّرت مسودة.

هذا الذي كنتم به تدعون : أي هذا العذاب الذي كنتم بإنذاره تكذبون وتطالبون به تحديًا منكم.

معنى الآيات:

ما زال السياق الكريم في مطلب هداية كفار قريش فقال تعالى مخاطباً لهم ﴿أمّن[1] هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن؟﴾ أي من هذاالذي هو جند لكم أيها المشركون بالله تعالى ينصركم من دون الرحمن إن أراد الرحمن بكم سوءاً فيدفعه عنكم. وقوله تعالى ﴿إن الكافرون[2] إلا في غرور﴾ أي ما الكافرون إلا في غرور أوقعهم الشيطان فيه زيّن لهم الشرك ووعدهم ومناهم

(١) أمن هي (أم) المنقطعة المقدرة ببل ومن الاستفهامية ادغمت في ميم أم فصارت أمّن والاستفهام للتبكيت والتأنيب والاضراب الانتقالي إذ تنقل من توبيخهم على عدم التأمل فيما يشاهدونه من أحوال الطير المنبئة عن آثار قدرة الله ورحمته إلى التبكيت بضعفهم وقلة الناصر لهم سوى الرحمن الذي يكفرون به.

(٢) الجملة معترضة مقررة لما قبلها والالتفات فيها من الخطاب إلى الغيبة لاقتضاء حالهم الإعراض عنهم والإظهار في موضع الإضمار إذ قال إن الكافرون، ولم يقل إن هم إلا في غرور لذمهم بالكفر وتعليل غرورهم به.

أنه لاحساب ولا عقاب، وان آلهتهم تشفع لهم وقوله تعالى ﴿أمن[1] هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه بل لجوا في عتو ونفور﴾ اي أي من هذاالذي يطعمكم ويسقيكم ويأتي بأقواتكم إن أمسك الله ربكم رزقه عنكم فلو قطع عليكم المطر ما أتاكم به أحد غير الله. وقوله تعالى ﴿بل لجوا في عتو ونفور﴾ أي انهم لم يتأثروا بهذا التبكيت والتأنيب بل تمادوا في الكبر والتباعد عن الحق. وقوله تعالى ﴿أفمن يمشي[2] مكباً على وجهه أهدى أم من[3] يمشي سوياً على صراط مستقيم؟﴾ هذا مثل ضربه الله تعالى للمشرك والموحد تبياناً لحالهما وتحقيقا لواقع مذهبهما فقال أفمن يمشي مكباً أي واقعاً على وجهه هذا هو المشرك الذي سيكبّ على وجهه في جهنم أهدى أمّن يمشي سويا أي مستقيما على صراط مستقيم أي طريق مستقيم هذا هو الموحّد فأيهما أهدى؟ والجواب قطعاً الذي يمشي سويا على صراط مستقيم إذاً النتيجة أن الموحد[4] مهتد والمشرك ضال. وقوله تعالى ﴿قل هو الذي أنشأكم﴾ أي خلقكم ﴿وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة﴾ أي القلوب أي وأنتم لا تنكرون ذلك فمالكم إذاً لا تشكرون المنعم عليكم بهذه النعم وذلك بالإيمان به وبرسوله وطاعته وطاعة رسوله إنكم ما تشكرون إلا قليلا وهو اعترافكم بأن الله هو المنعم لا غير. وقوله تعالى ﴿قل هو الذي ذرأكم في الأرض وإليه تحشرون﴾ أي قل لهم يارسولنا الله هو الذي ذرأكم في الأرض أي خلقكم لا أصنامكم التي لا تخلق ذبابا وإليه تعالى وحده تحشرون يوم القيامة إذاً فكيف لا تؤمنون به وبرسوله ولا تشكرونه ولا تخافونه وإليه تحشرون فيحاسبكم ويجزيكم بأعمالكم.

وقوله تعالى ﴿ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين﴾ أي ويقول الكافرون لرسول الله والمؤمنين: متى هذا الوعد الذي تعدوننا به وهو يوم القيامة أي متى يجيء؟ وهنا قال تعالى لرسوله إجابة لهم على سؤالهم: قل ﴿إنما العلم[5] عند الله﴾ أي علم مجيء يوم القيامة عند الله، وليس هو من شأني وإنما أنا نذير منه مبين لا غير. وقوله تعالى ﴿فلما رأوه﴾ أي عذاب يوم القيامة ﴿زلفة﴾ أي[6] قريبا منهم ﴿سيئت وجوه الذين كفروا﴾ أي أساءها الله فتغيرت بالاسوداد والكآبة

---

(١) أمّن هذا الذي: القول فيها كالقول في سابقها سواء.

(٢) مكبا اسم فاعل من اكب اللازم أما المتعدي فهو كبه يكبه وجواب الاستفهام الأول هو جملة أهدى وحذف جواب الاستفهام الثاني لدلالة الأول عليه.

(٣) أهدى أي أكثر هداية واستقامة والسوي هو الشديد الاستواء وهو الاعتدال والاستقامة.

(٤) جائز أن يراد بالمكب على وجهه أبو جهل، والسوي على صراط مستقيم أبو بكر رضي الله عنه والمثل عام في كل مشرك وموحد أو كافر ومؤمن.

(٥) كقوله تعالى: قل إنما علمها عند ربي الآية من سورة الأعراف.

(٦) زلفة: اسم مصدر من أزلف إزلافاً إذا أقرب، والزلفى القربة والمنزلة. والفاء في فلما رأوه زلفة هي الفصيحة إذ أعربت من جملتين وترتيب الشرطية عليها كأنه قيل وقد أتاهم الموعود به فرأوه، فلما رأوه زلفة سيئت أي اسودت وجوه الذين كفروا لمَا فيها من الخوف والحزن.

والحزن. وقيل لهم أو قالت لهم الملائكة هذا العذاب الذي كنتم به تطالبون متحدّين رسولنا والمؤمنين وتقولون: ﴿متى هذا الوعد إن كنتم صادقين﴾.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- تقرير حقيقة ثابتة وهي أن الكافر يعيش في غرور كامل ولذا يرفض دعوة الحق.

٢- تقرير حقيقة ثابتة وهي انحراف الكافر وضلاله واستقامة المؤمن وهدايته.

٣- وجوب الشكر لله تعالى على نعمة السمع والبصر والقلب وذلك بالإيمان والطاعة.

٤- تقرير عقيدة البعث والجزاء.

قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ
أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ
ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ
﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ ﴿٣٠﴾

شرح الكلمات:

قل أرأيتم : أي أخبروني.

ومن معي : أي من المؤمنين.

أو رحمنا : أي لم يهلكنا.

فمن يجير الكافرين : أي فمن يحفظ ويقي الكافرين العذاب.

قل هو الرحمن : أي قل هو الرحمن الذي أدعوكم إلى عبادته.

إن أصبح ماؤكم غوراً : أي غائراً لا تناله الدلاء ولا تراه العيون.

بماء معين : أي تراه العيون لجريانه على الأرض.

معنى الآيات:

ما زال السياق الكريم في مطلب هداية كفار قريش فقال تعالى لرسوله قل لهؤلاء المشركين الذين

تمنّوا موتك وقالوا نتربص به ريب المنون[1] قل لهم ﴿ أرأيتم ﴾ أي أخبروني ﴿ إن أهلكني الله ومن معي[2] ﴾ من المؤمنين ، ﴿ أو رحمنا ﴾ فلم يهلكنا بعذاب ﴿ فمن يجير[3] الكافرين من عذاب أليم ؟ ﴾ والجواب : لا أحد إذاً فماذا تنتفعون بهلاكنا . وقوله تعالى ﴿ قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا ﴾ أي قل يارسولنا لهؤلاء المشركين قل هو الرحمن الذي يدعوكم إلى عبادته وحده وترك عبادة غيره آمنا به وعليه توكلنا أي اعتمدنا عليه وفوضنا أمرنا إليه فستعلمون في يوم ما من هو في ضلال ممن هو على صراط مستقيم . وقوله ﴿ قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غوراً ﴾ أي غائرا ﴿ فمن يأتيكم بماء معين ﴾ أي قل لهؤلاء المشركين يارسولنا تذكيرا لهم أخبروني إن أصبح ماؤكم الذي تشربون منه «بئر زمزم» وغيرها[4] غائرا لا تناله الدلاء ولا تراه العيون . فمن يأتيكم بماء معين غير الله تعالى ؟ والجواب لا أحد[5] إذاً فلم لا تؤمنون به وتوحدونه في عبادته وتتقربون إليه بالعبادات التي شرع لعباده أن يعبدوه بها[6] .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ـ بيان ما كان عليه المشركون من عداوة لرسول الله ﷺ حتى تمنّوا موته .

٢ـ وجوب التوكل على الله عز وجل بعد الإيمان .

٣ـ مشروعية الحجاج لإحقاق الحق وإبطال الباطل .

سُورَةُ القَلَمِ

مكيـة وآياتها اثنتان وخمسون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾

وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾

---

(١) جاء هذا في سورة الطور . إذ قال تعالى عنهم أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون .

(٢) فتح كُلًا من ياءي أهلكني ومن معي . نافع وحفص سواء .

(٣) الاستفهام للنفي .

(٤) وهي بئر ميمون كانوا يشربون منها كبئر زمزم .

(٥) معين أصلها معيون كمبيع أصلها مبيوع فنقلت ضمة الياء إلى العين قبلها فالتقى ساكنان الياء والواو فحذفت الواو . ثم كسرت العين لتصبح الياء .

(٦) روى استحباب قول القارىء : الله رب العالمين إذا قرأ فمن يأتيكم بماء معين وروي أن جاهلاً ملحداً لما سمعها قال : تأتي بها الفؤوس والمعاول ، فذهب ماء عينيه وعمي . والعياذ بالله تعالى من الجهل والكفر والجرأة على الله .

﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝٥ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ۝٦ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ۝٧﴾

شرح الكلمات:

نٓ	: هو أحد الحروف المقطعة يكتب هكذا نٓ ويُقرأ هكذا نُون.
والقلم وما يسطرون	: أي والقلم الذي كتب به الذكر «القدر» والذي يخطون ويكتبون.
ما أنت بنعمة ربك	: أي لست بما أنعم الله عليك من النبوة وما وهبك من الكمال.
بمجنون	: أي بذي جنون كمايزعم المشركون.
غير ممنون	: أي غير مقطوع بل هو دائم أبدا.
بأيكم المفتون	: أي بأيكم الجنون.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿نٓ﴾ هذا أحد الحروف[1] المقطعة نحو قٓ، وصٓ، وحمٓ الله أعلم بمراده به وقوله تعالى ﴿والقلم وما يسطرون﴾ أي[2] والقلم الذي كتب أول ما خلق وقال له اكتب فقال ما اكتب قال اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة فجرى بذلك وما يسطرون أي وما تسطره وتكتبه الملائكة نقلا من اللوح المحفوظ، وما يكتبه الكرام الكاتبون من أعمال العباد قسمي أي أقسم تعالى بشيئين الأول القلم، والثاني ما سطر به وكتب مما خلق من كل شيء. والمقسم[3] عليه قوله ﴿ما أنت بنعمة[4] ربك بمجنون﴾ تكذيب للمشركين الذين قالوا إن محمداً مجنون بسبب ما رأوا من الوحي والتأثير به على من هداه الله للإيمان، وقوله تعالى ﴿وإن لك لأجراً غير ممنون﴾ هذا داخل تحت القسم أي مقسم عليه وهو أن للنبي ﷺ اجراً غير مقطوع أبداً بسبب ما قدمه من أعمال صالحة أعظمها ما بينه من الهدى وما سنّه من طرق الخير إذ من سنّ سُنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم الدين كما أن الجنة أجر كل عمل صالح وللرسول فيها أجر غير مقطوع بل له أعلاها وأفضلها

---

(١) روى عن بعض السلف أن: نون هي الدواة، وكونه أحد الحروف المقطعة أولى لنظائره من صٓ . ، وقٓ ويٓس، وطٓس.
وفي إدغام النون في واو والقلم قراءتان سبعيتان الفك والإدغام.

(٢) جائز أن يكون ما موصولة. أي والذي يسطرونه وجائز أن تكون مصدرية أي ومسطورهم.

(٣) جواب القسم وهو ثلاثة أشياء الأول نفي الجنون عنه ﷺ والثاني ثبوت الأجر له ﷺ والثالث كونه على أعظم خلق حيث تحلى بكل أدب في القرآن حتى قالت عائشة رضي الله عنها كان خلقه القرآن.

(٤) الباء بنعمة ربك سببية أي ما أنت بسبب ما أنعم الله عليك من الوحي مجنوناً والباء في مجنون زائدة لتقوية النفي وتأكيده.

وقوله ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾[1] هذا أيضا داخل في حيز المقسم عليه وهو أن النبي محمداً ﷺ لعلى خلق أي أدب عظيم حيث أدبه ربّه فكيف لا يكون أكمل الخلق أدباً وسيرته وما خوطب به في القرآن من مثل خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين. ومثل وشاورهم في الأمر ومثل ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك إلى غير ذلك من الآداب الرفيعة التي أدب الله بها رسوله مما جعله أكمل الناس أدبا وخلقا وقد سئلت عائشة عن خلق النبي ﷺ فقالت كان خلقه القرآن وقال هو عن نفسه أدبني ربي فأحسن تأديبي وقال إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق.

وقوله تعالى ﴿فستبصر[2] ويبصرون بأيكم المفتون﴾ أي دم على ما أنت عليه من الكمال يارسولنا واصبر على دعوتنا فستبصر بعد قليل من الزمن ويبصر قومك المتهمون لك بالجنون بأيكم[3] المفتون أي المجنون أنت ـ وحاشاك ـ أو هم. وقوله تعالى ﴿إن[4] ربك هو أعلم بما ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾ في هذا الخبر تعزية لرسول الله ﷺ وتسلية له ليصبر على دعوة الله وفيه تهديد ووعيد للمشركين المكذبين فكون الله أعلم من كل أحد بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين معناه أنه سيعذب حسب سنته الضال وسيرحم المهتدي.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ تقرير مسألة أن لله تعالى أن يقسم بما شاء من خلقه.

٢ـ بيان فضل القلم الذي يكتب به الهدى والخير.

٣ـ تقرير عقيدة القضاء والقدر إذ كان ذلك بالقلم الذي أول ما خلق الله.

٤ـ بيان كمال الرسول ﷺ في أدبه وأخلاقه وجعله قدوة في ذلك.

---

(١) ورد في فضل الخلق أحاديث. اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحُها وخالق الناس بخلق حسن، وحديث ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن، وإن الله تعالى ليبغض الفاحش البذيء. (صحيح).

(٢) قال ابن عباس فستعلم ويعلمون يوم القيامة حين يتميز الحق من الباطل وما في التفسير وارد وحق ولعله المراد وما قاله ابن عباس حق ووارد.

(٣) بأيكم المفتون، أي اسم مبهم يتعرف بما يضاف هو إليه، وله مواقع كثيرة في الكلام فقد يشرب معنى الموصول ومعنى الشرط ومعنى الاستفهام، ومعنى التنويه بكامل. فقوله بأيكم المفتون معناه أي رجل أو أي فريق منكم المفتون فأي هنا في محل نصب معمول فسيتبصر وينتصرون أيكم المفتون إذ الياء زائدة كالباء في وامسحوا برؤوسكم.

(٤) الجملة تعليلية لما ينبيء عنه ما قبله من اهتدائه ﷺ وضلالهم أو على جميع ما فصل من أول السورة ومع انها تعليلية فإنها متضمنة التسلية للرسول ﷺ كما فى التفسير.

فَلَا تُطِعِ
ٱلْمُكَذِّبِينَ (٨) وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ (٩) وَلَا تُطِعْ كُلَّ
حَلَّافٍ مَّهِينٍ (١٠) هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ (١١) مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ
أَثِيمٍ (١٢) عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ (١٣) أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ
(١٤) إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ (١٥)
سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ (١٦)

شرح الكلمات :

ودّوا لو تدهن : أي تمنوا وأحبوا لو تلين لهم بأن لا تذكر آلهتهم بسوء.

فيُدهنون : فيلينون لك ولا يغلظون لك في القول.

كل حلاف مهين : أي كثير الحلف بالباطل حقير.

هماز مشاء بنميم : أي عيّاب مغتاب.

معتد أثيم : أي على الناس بأذيتهم في أنفسهم و أموالهم أثيم يرتكب الجرائم والآثام.

عتل بعد ذلك زنيم : أي غليظ جاف. زنيم دعي في قريش وليس منهم وهو الوليد بن المغيرة.

قال أساطير الأولين : أي ما روته الأولون من قصص وحكايات وليس بوحي قرآني.

سنسمه على الخرطوم : أي سنجعل على أنفه علامة يعيّر بها ما عاش فخطم أنفه بالسيف يوم بدر.

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿فلا تطع المكذبين﴾[1] أي بناء على أنك أيها الرسول مهتد وقومك ضالون فلا تطع

(١) التاء للتفريع فالجملة متفرعة عما سبقها من قوله تعالى إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله. وعليه فلا تطع المكذبين الخ.. نهى ﷺ عن طاعة المشركين في أي شيء يريدونه منه مما هو رضاء بالشرك وسكوت عنه ممالأة لهم وسكوتاً عن باطلهم مقابل ترك أذاهم له.

هؤلاء الضالين المكذبين بالله ولقائه وبك وبما جئت به من الدين الحق وقوله ﴿ودوا لو تدهن[1] فيدهنون﴾ أي ومما يؤكد لك عدم مشروعية طاعتهم فيما يطالبون ويقترحونه عليك أنهم ودوا أي تمنوا وأحبوا لو تلين لهم فتمالئهم بسكوتك عن آلهتهم فيدهنون بالكف عن أذيتك بترك السبّ والشتم. وقوله تعالى ﴿ولا تطع كل حلاف مهين﴾ بعدما نهاه عن إطاعة الكافرين عامة نهاه عن طاعة أفراد شرّيرين لا خير فيهم البتة كالوليد بن المغيرة فقال: ﴿ولا تطع كل حلاف﴾ كثير الحلف بالباطل ﴿مهين﴾[2] أي حقير. ﴿هماز﴾ عيّاب ﴿مشاء بنميم﴾ أي مغتاب نمام ينقل الحديث على وجه الإفساد ﴿مناع للخير﴾ أي يبخل بالمال أشد البخل ﴿معتد أثيم﴾ أي ظالم للناس معتدٍ على أموالهم وأنفسهم ﴿أثيم﴾ كثير الإثم لغشيانه المحرمات وقوله ﴿عتلّ بعد ذلك[3] زنيم﴾ أي غليظ الطبع جاف لا أدب معه. ﴿زنيم﴾ أي دعيّ في قريش وليس منهم. وقوله تعالى ﴿أن كان ذال مال وبنين إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين﴾ أي لأجل أن كان ذا مال وبنين حمله الشعور بالغنى على التكذيب بآيات الله فإذا تُليت عليه وسمعها قال أساطير الأولين ردّاً لها ووصفها بأنها أسطورة أي أكذوبة مسطرة ومكتوبة من أساطير الأولين من الأمم الماضية. قال تعالى ﴿سنسمه على الخرطوم﴾ أي نجعل له سمة شر وقبح يُعرف بها مدى حياته تكون بمثابة من جدع أنفه أو وسم على أنفه فكل من رآه استقبح منظره.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- التنديد بأصحاب الصفات التالية كثرة الحلف بالكذب، المهانة، الهمزة النميمة، الغيبة، البخل، الاعتداء، غشيان الذنوب، الغلظة والجفاء، الشهرة بالشر.

٢- التحذير من كثرة المال والولد فإنها سبب الطغيان ﴿إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى﴾.

٣- التنديد بالمكذبين بآيات الله تعالى جملة أو تفصيلا. والعياذ بالله تعالى.

---

(١) ودوا لو تدهن هذا بيان لما نهى عنه من طاعتهم، وفعل تدهن مشتق من الإدهان وهو الملاينة والمصانعة وهو مأخوذ من دهن الشيء بالدهان ليلينه ويرق، والمداهنة محرمة والمداراة جائزة والفرق بينهما أن المداهن يتنازل من شيء من دينه ليحفظ شيئاً من دنياه، والمداري عكسه يتنازل عن شيء من دنياه ليحفظ شيئاً من دينه.

(٢) المهين: الوضيع لإكثاره من القبيح، وتفسيره بالحقير صالح وكذا الفاجر العاجز.

(٣) العتل: الجافي الشديد، ومنه أخذ العتّال الذي يجر الناس ويدفعهم بعنف ليدخلهم في السجن ونحوه. ومنه قوله تعالى خذوه فاعتلوه.

إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟
لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ
وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ
ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾
أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا
رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل
لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ
بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ
رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ
ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾

شرح الكلمات :

إنا بلوناهم : أي امتحنا كفار مكة بالمال والولد والجاه والسيادة فلم يشكروا نعم الله عليهم بل كفروا بها بتكذيبهم رسولنا وإنكارهم توحيدنا فأصبناهم بالقحط والقتل لعلهم يتوبون كما امتحنا أصحاب الجنة المذكورين في هذا السياق.

ليصرمنها[1] : أي ليجدُنّها أي يقطعون ثمارها صباحاً.

فطاف عليها طائف من ربك

وهم نائمون : أي نار فأحرقتها.

فأصبحت كالصريم : أي كالليل الأسود الشديد الظلمة والسواد.

على حرثكم : أي غلة جنتكم وقيل فيها حرث لأنهم عملوا فيها.

وهم يتخافتون : أي يتشاورون بأصوات مخفوضة غير رفيعة حتى لا يسمع بهم.

(١) الصرم: الجد والقطع، والجز أيضاً بالزاي كلها بمعنى القطع والكسر.

وغدوا على حرد قادرين	: أي وغدوا صباحا على قصد قادرين على صرمها قبل أن يطلع عليهم المساكين .
إنا لضالون	: أي مخطئوا الطريق أي ما هذا طريق جنتنا ولا هي هذه .
بل نحن محرومون	: أي لما علموا أنها هي وقد احترقت قالوا بل نحن محرومون منها لعزمنا على حرمان المساكين منها .
قال أوسطهم	: خيرهم تقوى وأرجحهم عقلا .
لولا تسبحون	: أي تسبحون الله وتستثنون عندما قلتم لنصرمنها مصبحين .
يتلاومون	: أي يلوم بعضهم بعضا تندماًوتحسراً .
إنا إلى ربنا راغبون	: أي طامعون .
كذلك العذاب	: أي مثل هذا العذاب بالحرمان العذاب لمن خالف أمرنا وعصانا .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في مطلب هداية قريش قوم محمد ﷺ فقال تعالى ﴿إنا بلوناهم﴾ يعني كفار قريش أي امتحناهم واختبرناهم بالآلاء والنعم لعلهم يشكرون فلم يشكروا ثم بالبلاء والنقم أي بالقحط والجدب والقتل لعلهم يتوبون كما بلونا أصحاب الجنة فتابوا ثم ذكر تعالى قصة أصحاب الجنة الذين ابتلاهم فتابوا إليه ورجعوا إلى طاعته فقال ﴿إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة[1] إذ أقسموا﴾ ـ حلفوا ـ ﴿ليصرمنها مصبحين[2]﴾ أي ليقطعن ثمارها ويجدونه في الصباح الباكر قبل أن يعلم المساكين حتى لا يعطوهم شيئا . ولا يستثنون أي لم يستثنوا في حلفهم لم يقولوا إلا أن يشاء الله . ﴿فطاف عليها طائف من ربك﴾ يارسولنا وهو نار أحرقتها ﴿فأصبحت كالصـريم﴾ أي الليل المظلم الأسود الشديد السواد . ﴿فتنادوا مصبحين﴾ أي نادى بعضهم بعضا وهم إخوة كثير في أول الصباح قائلين ﴿اغدوا على حرثكم﴾ إن كنتم فعلا جادين في الصرام هذا الصباح . ﴿فانطلقوا مسرعين وهم يتخافتون﴾ يتشاورون في صوت خافت حتى لا

---

(١) قيل إن هذه الجنة «البستان» كانت على فراسخ من صنعاء اليمن وكانت بعد رفع عيسى عليه السلام ، كانت لرجل مؤمن يؤدي حق الله تعالى فلما مات صارت لأولاده فعزموا على منع الناس ما كان والدهم يعطيه لمن يحضر الجداد من فقراء ومساكين فعاقبهم الله فاحترقت وفي الأيات بيان ذلك .

(٢) في الآية أدب سام وهو أن من كان له من الزرع أو التمر ما يُجد،ينبغي أن لا يجده ليلا حتى لا يحرم الفقراء من الأكل منه وأن عليه أن يمنح من يحضر الجداد والقطع شيئاً يسيراً من زرعه أو ثمره ، وآية سورة النساء ظاهرة في هذا وهي قوله تعالى (وإذا حضر القسمة اولوا القربى) إلى قوله (فارزقوهم منه) الآية .

يفطن لهم فقراء البلد ومساكينها وأجمعوا على[1] ﴿أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين﴾ كما كانوا يدخلونها ويأخذون منها أيام حياة والدهم رحمة الله عليه قال تعالى ﴿وغدوا على حرد قادرين﴾ أي وانطلقوا صباحا على حرد أي[2] قصد تام قادرين على أن لا يدخلنها اليوم عليهم مسكين بل يجدونها ويحملونها إلى مخازنهم ولا يشعر بهم أحد من الفقراء والمساكين. قال تعالى ﴿فلما رأوهـا﴾ محتـرقة سوداء مظلمة ﴿قالوا﴾ ما هذه جنتنا ﴿إنا لضالون﴾[3] عنها بأن أخطئنا الطريق إليها، ولما علموا أنها هي ولكن احترقت ليلا اضربوا عن قولهم الأول وقالوا ﴿بل نحن محرومون﴾ أي منها لعزمنا على منع المساكين منها وقد كان والدنا يمنحهم منها ويعطيهم شكرا لله وأداء لحقه. وهنا تكلم أوسطهم أي خيرهم تقوى وأرجحهم عقلا بما أخبر تعالى عنه في قوله ﴿قال أوسطهم ألم[4] أقل لكم لولا تسبحون﴾ أي ألم يسبق لي أن قلت لكم لما قلتم لنصرمنها مصبحين ولم تستثنوا فقلت لكم هلا تستثنون واطلق لفظ التسبيح على الاستثناء لأن التسبيح تنزيه لله عن الشرك وسائر النقائص ومنها العجز والاستثناء تنزيه لله عن ذلك لأن الذي يقول أفعل ولم يستثن اعطى لنفسه قدرة كقدرة الله الذي إذا قال أفعل فعل ولا يعجز فهو هنا اشرك نفسه في صفة من صفات الله تعالى فلذا كان الاستثناء تسبيحا لله وتنزيها له عن المشارك في صفاته وأفعاله. فلما ذكرهم أخوهم العاقل الرشيد قالوا ﴿سبحان ربّنا إنا كنا ظالمين﴾ فنابوا بهذا الاعتراف قال تعالى ﴿فأقبل بعضهم على بعض يتـلاومون﴾ أي يلوم بعضهم بعضا على خطأهم في عزمهم على حرمان المساكين وعلى عدم الاستثناء في اليمين قالوا من جملة ما قالوا ﴿يا ويلنا﴾ أي ياهلاكنا احضر ﴿إنا كنا طاغين﴾ أي متجاوزين حدود الله التي حد لنا غفلة منا وجهلا بأنفسنا وبما يعاقب به امثالنا. وهنا بعد أن رجعوا على أنفسهم باللوم وإلى الله بالتوبة رجوا ربهم ولم ييأسوا من رحمته فقالوا ﴿عسى[5] أن يبدلنا ربنا[6] خيراً منها إنا إلى ربنا راغبون﴾ هكذا ابتلوا بالنعمة ثم بسلبها فتابوا

---

(١) في الآية دليل على أن العزم الأكيد يؤاخذ عليه العبد لأن أصحاب الجنة عزموا على أن يحرموا الفقراء فعاقبهم الله على عزمهم.

(٢) الحرد: يطلق على المنع وعلى القصد القوي وعلى السرعة والغضب أيضاً وجملة وغدوا... إلخ حالية.

(٣) لا داعي إلى تفسير لضالون بالضلال الذي هو الخروج عن طاعة الله بل المراد من الضلال هو عدم اهتدائهم إلى جنتهم بأن ضلوا طريقها.

(٤) الاستفهام تقريري، ولولا للتحضيض.

(٥) قيل إنهم تعاقدوا وقالوا إن أبدلنا الله خيراً منها لنصنعن كما يصنع أبونا فدعوا الله وتضرعوا فأبدلهم الله ماهو خير منها، سئل قتادة عن أصحاب الجنة: أهم من أهل الجنة أم من أهل النار؟ فقال للسائل لقد كلفتني تعباً!

(٦) قرأ نافع أن يبدّلنا بتشديد الدال، وقرأ حفص بالتخفيف من أبدَلَ يبدل الرباعي

فهل كفار قريش وقد ابتلوا بالنعمة ثم سلبوها فهل يتوبون كما تاب أصحاب الجنة؟ إنما سيقت هذه القصة تذكيراً وتعليما فهلا يتذكرون فيتوبوا؟ قال تعالى ﴿كذلك[1] العذاب﴾ أي مثل هذا العذاب بالحرمان العذاب لمن خالف أمر الله وعصاه ﴿ولعذاب الآخرة أكبر من عذاب الدنيا لو كانوا يعلمون﴾ فإن عذاب الدنيا وقته محدود وأجله معدود أما عذاب الآخرة فإنه أبديٌ لا يحول ولا يزول.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ الابتلاء يكون بالسراء والضراء أي بالخير والشر وأسعد الناس الشاكرون عند السراء الصابرون على طاعة الله ورسوله عند الضراء.

٢ـ مشروعية التذكير بأحوال المبتلين والمعافين ليتخذ من ذلك طريق إلى الشكر والصبر.

٣ـ صلاح الآباء ينفع أبناء المؤمنين فقد انتفع أصحاب الجنة بصلاح أبيهم الذي كان يتصدق على المساكين من غلة بستانه وعلامة انتفاعهم توبتهم.

٤ـ مشروعية الاستثناء في اليمين وأنه تسبيح لله تعالى، وأن تركه يوقع في الإثم ولذا إذا حنث الحالف الذي لم يستثن تلوثت نفسه بإثم كبير لا يُمحى إلا بالكفارة الشرعية التي حددها الشارع وهي إطعام أو كسوة عشرة مساكين أو عتق رقبة فإن لم يقدر على واحدة من هذه الأنواع صام ثلاثة أيام ليمحي ذلك الذنب من نفسه.

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ
﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ
لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ
عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلْهُمْ أَيُّهُم
بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٤١﴾
يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾

---

(١) قيل إن هذا وعظ لأهل مكة بالرجوع إلى الله تعالى لما ابتلاهم بالجدب لدعاء النبي ﷺ عليهم أي كفعلنا نفعل بمن تعدى حدودنا في الدنيا.

خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ وَقَدۡ كَانُواْ يُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمۡ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾

شرح الكلمات:

إن للمتقين[1] : أي الذين اتقوا ربهم فآمنوا به ووحدوه فاتقوا بذلك الشرك والمعاصي.

عند ربهم جنات النعيم : أي لهم جنات النعيم يوم القيامة عند ربهم عز وجل.

أفنجعل المسلمين كالمجرمين : أي أنحيف في الحكم ونجور فنجعل المسلمين والمجرمين متساوين في العطاء والفضل والجواب لا، لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة.

أم لكم كتاب فيه تدرسون : أي تقرأون فعلمتم بواسطته ما تدعون.

إن لكم فيه لما تخيّرون : أي فوجدتم في الكتاب الذي تقرأون أن لكم فيه ما تختارونه.

أم لكم أيمان علينا بالغة : أي ألكم عهود منا موثقة بالأيمان لا نخرج منها ولا نتحلل إلى يوم القيامة.

إن لكم لما تحكمون : أي أعطيناكم عهودنا الواثقة أن لكم ما تحكمون به لأنفسكم كما تشاءون.

سلهم أيهم بذلك زعيم : أي سلهم يارسولنا عن زعيمهم الذي يكفل لهم مضمون الحكم الذي يحكمون به لأنفسهم من أنهم يعطون في الآخرة أفضل مما يُعطى المؤمنون.

أم لهم شركاء : أي أعندهم شركاء موافقون لهم في هذا الذي قالوا يكفلون لهم به ما ادعوه وحكموا به لأنفسهم وهو أنهم يعطون أفضل مما يعطى المؤمنون يوم القيامة.

يوم يكشف عن ساق : أي يوم يعظم الهول ويشتد الكرب ويكشف الرب عن ساقه الكريم التي لا يشبهها شيء عندما يأتي لفصل القضاء.

ترهقهم ذلة : أي تغشاهم ذلة يالها من ذلة.

وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون: أي وقد كانوا يدعون في الدنيا إلى الصلاة وهم سالمون من أيّة علة ولا يصلون حتى لا يسجدوا تكبراً وتعظماً.

---

(١) المتقون هم الذين اتقوا ربهم فآمنوا به وعبدوه وحده فأطاعوه وأطاعوا رسوله فلم يشركوا ولم يفسقوا.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿إن للمتقين﴾[1] [2] الآيات نزلت رداً على المشركين الذين ادعوا متبجحين أنهم إذا بعثوا يوم القيامة يعطون أفضل مما يعطى المؤمنون قياساً منهم على حالهم في الدنيا حيث كانوا أغنياء والمؤمنون فقراء فقال تعالى ﴿إن للمتقين عند ربهم يوم القيامة جنّات النعيم﴾ أي جنات كلها نعيم لا شيء فيها غيره. ثم قال في الرد منكرا على المشركين دعواهم مقرعا مؤنبا إياهم في سبعة استفهامات إنكارية تقريعية أولها قوله تعالى ﴿أفنجعل[3] المسلمين الذين أسلموا لله وجوههم وأطاعوه بكل جوارحهم كالمجرمين الذين أجرموا على أنفسهم بارتكاب أكبر الكبائر كالشرك وسائر الموبقات أي نحيف ونجور في حكمنا فنجعل المسلمين كالمجرمين في الفضل والعطاء يوم القيامة، فنسوي بينهما وثانيها قوله: ما لكم؟ أي أي شيء حصل لكم حتى ادّعيتم هذه الدعوى وثالثها كيف تحكمون أي كيف أصدرتم هذا الحكم ما حجتكم فيه ودليلكم عليه؟ ورابعها قوله ﴿أم لكم كتاب فيه تدرسون﴾ أي أعندكم كتاب جاءكم به رسول من عند الله تقرأون فيه هذا الحكم الذي حكمتم به لأنفسكم بأنكم تعطون يوم القيامة أفضل مما يعطى المؤمنون إن لكم فيه لما تخيرون أي ألكم في هذا الكتاب ما تختارون والجواب. لا. لا وخامسها قوله ﴿أم لكم[4] أيمان علينا بالغة إلى يوم القيامة إن لكم لما تحكمون﴾ أي أي ألكم عهودنا موثقة بأيمان لا نتحلل منها إلى يوم القيامة بأن لكم ما حكمتم به لأنفسكم من أنكم تعطون أفضل مما يعطى المؤمنون وسادسها ﴿سلهم أيهم[5] بذلك زعيم﴾ أي سلهم يارسولنا عن زعيمهم الذي يكفل لهم مضمون الحكم الذي يحكمون به لأنفسهم من أنهم يعطون في الآخرة أفضل مما يعطى المؤمنون سابعها قوله ﴿أم لهم شركاء فليأتوا بشركائهم إن كانوا صادقين﴾ أي ألهم شركاء موافقون لهم في هذا الذي قالوه يكفلونه لهم فليأتوا بهم إن كانوا صادقين في ذلك. بهذه الاستفهامات الإنكارية التقريعية السبعة نفى تعالى عنهم كل ما يمكنهم أن يتشبثوا به في

---

(١) إن للمتقين استئناف بياني ناشيء عن سؤال إذا كان جزاء المجرمين ما ذكر فما جزاء المتقين؟ فأجيب: إن للمتقين عند ربهم جنات النعيم: واللام لام الاستحقاق، واضافة الجنات إلى النعيم إشارة إلى انها خالصة النعيم ما فيها ليس في جنات الدنيا من البعوض والحشرات أو ما يؤذي من شوك ونحوه.

(٢) قال ابن عباس رضي الله عنهما: قالت كفار مكة إنا نعطى في الآخرة خيراً مما تعطون فنزلت: أفنجعل المسلمين كالمجرمين؟

(٣) الهمزة للاستفهام الإنكاري أي إنكار التسوية بين المسلمين والمجرمين في الجزاء مع التقريع والتوبيخ.. وكذا سائر الاستفهامات في هذه الآيات.

(٤) أم لكم للإضراب الانتقالي من دليل إلى آخر والاستفهام إنكاري كغيره مع ما يفيد من التأنيب والتقريع.

(٥) الاستفهام هنا مستعمل للتهكم.

تصحيح دعـواهم البـاطلة عقلا وشرعا . وقوله تعالى ﴿يوم[1] يكشف عن ساق﴾[2] أي اذكر لهم يارسولنا مبينا واقع الأمر يوم القيامة، ليخجلوا من تشدقهم بدعواهم الساقطة الباردة اذكر لهم يوم يعظم الهول ويشتد الكرب، ويأتي الرب لفصل القضاء ويكشف عن ساق فيخر كل مؤمن ومؤمنة ساجداً ويحاول المنافقون والمنافقات السجود فلا يستطيعون إذ يكون ظهر أحدهم طبقاًواحداً أي عظمـاً واحـداً فلا يقدر على السجود وذلك علامة شقائه المترتب على نفاقه في الدنيا. ويدعون إلى السجود أي امتحانا لهم ليعرف من كان يسجد إيمانا واحتسابا ممن كان يسجد نفاقاً ورياء فلا يستطيعون لأن ظهر أحدهم يصبح عظماً واحداً خاشعة أبصارهم لا تطرف من شدة الخوف ترهقهم ذلة أي تغشاهم ذلة عظيمة وقوله وقد كانوا يدعون إلى السجود أي في الدنياوهم سالمون معافون في أبدانهم ولا يسجدون تكبرا وكفرا بالله ربهم وبشرعه.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ تقرير أن المجرمين لا يساوون المؤمنين يوم القيامة إذ لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة فمن زعم أنه يعطى ما يُعطاه المؤمنون من جنات النعيم فهو مخطىء في تصوره كاذب في قوله.

٢ـ بيان عظم هول يوم القيامة وأن الرب تبارك وتعالى يأتي لفصل القضاء ويكشف عن ساق فلا يبقى أحد إلا سجـد وأن الكافر والمنافق لا يستطيع السجود عقوبة له وفضيحة إذ كان في الدنيا يدعى إلى السجود لله فلا يسجد أي إلى الصلاة فلا يصلي تكبراً وكفراً.

فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم
مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾ فَٱصْبِرْ
لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَآ

(١) جائز أن يكون يوم يكشف متعلق بقوله فليأتوا بشركائهم ويكون من باب حسن التخلص من الرد على المشركين إلى ذكر أهوال يوم القيامة.

(٢) لولا ما صح عن النبي ﷺ في الصحيح: إذ يقول أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقاً واحداً. لقلنا في الآية أنها كناية عن أهوال يوم القيامة ولكن مع صحة الحديث فالآية دالة على أهوال يوم القيامة ومثبتة صفة ذات الرب تبارك وتعالى عن صفات المحدثين.

أَن تَدَارَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ
فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ
لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾

شرح الكلمات:

ذرني ومن يكذب	: أي دعني ومن يكذب أي لا يصدق.
بهذا الحديث	: أي بالقرآن الكريم.
سنستدرجهم	: أي نستنزلهم درجة درجة حتى نصل بهم إلى العذاب.
وأملي لهم	: أي وامهلهم.
إن كيدي متين	: أي شديد قويّ لا يطاق.
فهم من مغرم مثقلون	: أي فهم مما يعطونكه مكلفون حملا ثقيلا.
أم عندهم الغيب	: أي اللوح المحفوظ.
فهم يكتبون	: أي ينقلون منه ما يدعونه ويقولونه.
ولا تكن كصاحب الحوت	: أي يونس في الضجر والعجلة.
وهو مكظوم	: أي مملوء غماً.
بالعراء	: أي الأرض الفضاء.
وهو مذموم	: لكن لما تاب نُبِذَ وهو غير مذموم.
فاجتباه ربه	: أي اصطفاه.
ليزلقونك بأبصارهم	أي ينظرون إليك نظرا شديدا يكاد أن يصرعك.
وما هو إلا ذكر	: أي محمد ﷺ.
للعالمين	: أي الإنس والجن فليس بمجنون كما يقول المبطلون.

معنى الآيات:

بعد ذلك التقريع الشديد للمشركين المكذبين الذي لم يؤثر في نفوسهم أدنى تأثير قال تعالى لرسوله ﴿فذرني﴾[1] أي بناء على ذلك فذرني ومن يكذب بهذا الحديث أي دعني وإياهم، والمراد من

(١) الفاء للتفريع والترتيب فما بعدها متفرع عما قبلها مترتب عليه.

الحديث القرآن الكريم[1] ﴿سنستدرجهم﴾ أي نستنزلهم درجة درجة ﴿من حيث لايعلمون﴾ حتى ننتهي بهم إلى عذابهم المترتب على تكذيبهم وشركهم. وقوله تعالى ﴿وأملي لهم إن كيدي[2] متين﴾ أي وأمهلهم فلا أعاجلهم بالعذاب فأوسع لهم في الرزق وأصحح لهم الجسم حتى يروا أن هذا لكرامتهم عندنا وأنهم خيرٌ من المؤمنين ثم نأخذهم. وهذا من كيدي الشديد الذي لا يطاق، وقوله تعالى ﴿أم[3] تسألهم أجرا فهم من مغرم مثقلون﴾ أي بل أتسألهم على تبليغ الدعوة أجراً مقابل التبليغ فهم من مغرم مثقلون أي فهم يشعرون بحمل ثقيل من أجل ما يعطونك من الأجر فلذا هم لا يؤمنون بك ولا يتابعونك على دعوتك. أم عندهم[4] الغيب أي اللوح المحفوظ فهم[5] يكتبون منه ما هم يقولون به ويُقرُّونه والجواب لا إذاً فاصبر يارسولنا لحكم ربك[6] فيك وفيهم وامض في دعوتك ولا يثني عزمك تكذيبهم ولا عنادهم ولا تكن كصاحب الحوت يونس بن متّى أي في الضجر وعدم الصبر. إذ نادى وهو[7] مكظوم أي مملوء غمّاً فقال لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين وقوله لولا أن تداركه نعمة من ربّه لنبذ بالعراء وهو مذموم أي لولا أن أدركته رحمة الله تعالى حيث ألهمه الله التوبة ووفقه لها لنبذ أي لطرح بالفضاء وهو مذموم لكن لما تاب الله عليه طُرح على ساحل البحر وهو غير مذموم بل محمود فاجتباه ربّه أي اصطفاه مرة ثانية بعد الأولى فجعله من الصالحين أي الكاملي الصلاح من الأنبياء والمرسلين، ومعنى اجتباه مرة ثانية لأن الاجتباء الأول إذ كان رسولا في أهل نينوي وغاضبوه فتركهم ضجراً منهم فعوقب وبعد العقاب والعتاب اجتباه مرة أخرى وأرسله إلى أهل بلاده بعد ذلك الانقطاع قال تعالى من سورة اليقطين فنبذناه بالعراء وهو سقيم وأنبتنا عليه شجرة من يقطين وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون فآمنوا فمتعناهم إلى حين. وقوله تعالى ﴿وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر﴾ أي وان يكاد الذين كفروا ليصرعونك من شدة النظر إليك وكلهم غيظ وحنق عليك بأبصارهم ﴿لما

---

(١) وجائز أن يكون المراد من الحديث الإخبار عن البعث والجزاء مما تضمنه قوله يوم يكشف عن ساق الخ وجائز أن يكون القرآن كما في التفسير وقيل فيه حديث لما فيه من الأخبار عن الله وعن الأمم والجنة والنار.

(٢) وأملي مضارع أملى إذا أمهل وأنظر وأخر مشتق من الملا مقصوراً وهو الحين والوقت ومنه الملوان الليل والنهار فأملى بمعنى طول في الزمان.

(٣) أم بمعنى بل للإضراب الانتقالي من حجة إلى أخرى ومن دليل إلى آخر.

(٤) إضراب آخر كالأول وفي الكلام حذف تقديره أم عندهم علم الغيب كقوله تعالى ﴿أعنده علم الغيب فهو يرى﴾ من سورة النجم.

(٥) الفاء للتفريع.

(٦) المراد بحكم الرب، تعالى عنا أمره وهو ما حمله رسوله من حمل الرسالة وتبليغها والاضطلاع بأعباء الرسالة.

(٧) المكظوم المحبوس المسدود عليه يقال كظم الباب إذا أغلقه وكظم النهر إذا سده ومنه كظم الغيظ وهو حبسه في النفس وعدم إظهاره بقول أو فعل.

سمعوا الذكر﴾ أي القرآن نقرأه عليهم .ويقولون إنه لمجنون حسداً لك، وصرفاً للناس عنك، وما هو[1] أي محمد ﷺ إلا ذكر للعالمين أي يذكر به الله تعالى الإنس والجن فليس هو بمجنون كما يقول المكذبون المفتونون.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ـ ردّ الأمور إلى الله إذا استعصى حلّها فالله كفيل بذلك.

٢ـ لا يصح أخذ أجرة على تبليغ الدعوة.

٣ـ وجوب الصبر على الدعوة مهما كانت الصعاب فلا تترك لأذىً يصيب الداعي.

٤ـ بيان حال المشركين مع الرسول ﷺ وما كانوا يضمرونه له من البغض والحسد وما يرمونه به من الاتهامات الباطلة كالجنون والسحر والكذب.

سُورَةُ الحَاقَّةِ

مكيـة وآياتها ثنتان وخمسون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ٱلْحَآقَّةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ
وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا
عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ
سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ
كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾
وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوْا۟ رَسُولَ
رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴿١٠﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ
﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾

(١) جائز أن يكون الضمير وما هو عائد إلى القرآن وما القرآن إلا ذكر للعالمين الإنس والجن أي ليس هو بكلام مجنون، وجائز أن يكون الضمير عائد إلى الرسول ﷺ الذي قالوا فيه إنه مجنون ويكون الذكر بمعنى التذكير بالله والجزاء إذ هذا من فعله ﷺ.

شرح الكلمات :

الحاقة[1] : أي الساعة الواجبة الوقوع وهي القيامة .

بالقارعة : أم بالقيامة لأنها تقرع القلوب بالخوف والهول .

فأهلكوا بالطاغية : أي بطغيانهم وعتوهم عن أمر ربهم فأخذتهم صيحة طاغية أيضاً .

بريح صرصر عاتية : أي ذات صوت لشدة عصوفها عاتية على خزانها في الهبوب .

حسوماً : أي متابعات الهبوب بلا فاصل كتتابع الكيّ القاطع للداء .

كأنهم أعجاز نخل خاوية : أي أصول نخل ساقطة فارغة ليس في جوفها شيء .

والمؤتفكات بالخاطئة : أي أهلها وهي قرى لوط بالفعلات ذات الخطأ .

أخذة رابية : أي زائدة في الشدة على غيرها .

لما طغا الماء : أي علا فوق كل شيء من الجبال وغيرها .

حملناكم في الجارية : أي السفينة التي صنعها نوح ونجا بها هو ومن معه من المؤمنين .

وتعيها أذن واعية : أي وتحفظها أذن واعية أي حافظة لما تسمعُ .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿الحاقة ما الحاقة﴾[2] أي أي شيء هي[3]؟ وما أدراك[4] ما الحاقة أي أي شيء أعلمك بها ، والمراد بها القيامة لأنها حاقة المجيي واجبته لا محالة . وقوله تعالى ﴿كذّبت[5] ثمود وعاد بالقـارعة﴾ أي كذبت ثمود قوم صالح وعاد قوم هود بالقارعة أي بالقيامة . فهم ككفار قريش مكـذبـون بالبعث والجـزاء . فأمـا ثمود فأهلكوا بالطاغية أي بطغيانهم وعتوهم عن أمر ربهم

---

(١) هو اسم للسورة . روى أحمد أن عمر رضي الله عنه قال خرجت يوماً بمكة أتعرض لرسول الله ﷺ قبل أن أسلم فوجدته قد سبقني إلى المسجد الحرام فوقفت خَلْفَهُ فاستفتح سورة الحاقة فجعلت أعجب من تأليف القرآن فقلت هذا والله شاعر (أي في خاطري) فقرأ (وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون) قلت : في خاطري كاهن . فقرأ (ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون تنزيل من رب العالمين) إلى آخر السورة فوقع في قلبي كل موقع . وسماها بعضهم (السلسلة) وبعضهم (الداعية) .

(٢) الحاقة اسم فاعل من حق الشيء فهو حاق إذا ثبت وقوعه ، والظاهر أنها وصف لموصوف محذوف أي الساعة الحاقة أو الواقعة الحاقة ، ومافي التفسير واضح وأولى .

(٣) ما اسم استفهام مستعمل في التهويل والتعظيم والمعنى الحاقة أمر عظيم لا يدرك كنهه والحاقة مبتدأ وما مبتدأ ثان والحاقة خبر المبتدأ الثاني والجملة من المبتدأ الثاني وخبره خبر المبتدأ الأول وجملة وما أدراك ما الحاقة معترضة بين جملة الحاقة وكذبت ثمود .

(٤) روي عن ابن عباس وسفيان بن عيينة . كل ما ورد في القرآن بلفظ وما أدراك بصيغة الماضي فقد أدراه أي أعلمه به ، وكل ما ورد بصيغة المضارع وما يدريك فقد طوى عنه ولم يعلمه به فالأول (وما أدراك ما هية نار حامية) (وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر) والثاني (وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا) . .

(٥) كذبت ثمود كلام مستأنف بين فيه من كذبوا بالحاقة وهي الفارقة وسميت بالقارعة من قولهم (قوارع الدهر) أي أهواله وشدائده فهي تقرع القلوب .

فأخذتهم صيحة طاغية،[1] وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر أي ذات صوت شديد عاتية أي عتت على خزانها في الهبوب. سخرها الله عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً[2] أي متتابعات بلا انقطاع حسما لوجودهم كما يحسم الدواء بالكي الحاسم للداء المتتابع. وقوله تعالى فترى أيها الرسول القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية أي فترى القوم في تلك الليالي والأيام صرعى ساقطين على الأرض كأنهم أصول نخل ساقطة فارغة ليس في أجوافها شيء فهل ترى لهم من باقية أي من نسلهم لا شيء إذ هلكوا كلهم أجمعون، وقوله تعالى ﴿وجاء فرعون ومن قبله﴾ كقوم نوح وعاد وثمود والمؤتفكات[3] بالخاطئة أي بالأفعال الخاطئة وهي الشرك والمعاصي وبينها تعالى بقوله ﴿فعصوا رسول ربهم فأخذهم أخذة رابية﴾ أي زائدة في الشدة على غيرها وقوله تعالى ﴿إنا لما طغا الماء﴾ أي ماء الطوفان الذي أهلك الله به قوم نوح حملناكم في الجارية أي حملنا آباءكم في الجارية التي هي سفينة نوح عليه السلام وقوله لنجعلها لكم[4] تذكرة أي لنجعل السفينة تذكرة لكم عظة وعبرة وتعيها أي وتحفظ هذه العظة أذن حافظة لا تنسى ما هو حق وخير من المعاني.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١- تقرير عقيدة البعث والجزاء.

٢- بيان أن كلا من عاد وثمود كانوا يكذبون بالبعث وبيان ما أهلكهم الله به.

٣- بيان أن معصية الرسول موجبة للعذاب الدنيوي والأخروي.

٤- التذكير بحادثة الطوفان وما فيها من عظة وعبرة.

فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ
نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾
فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ

(١) هي أشبه بصيحة النفخ في الصور وثمود هم قوم صالح ومنازلهم بالحجر بين الشام والحجاز وتعرف اليوم بمدائن صالح على أميال من مدينة العلا اليوم. وأما عاد فمنازلهم كانت بالأحقاف وهي رمال بين عمان وحضرموت باليمن وأهلكوا بريح صرصر.

(٢) قيل بدأ من صباح يوم الأربعاء لثمان بقين من شوال وكانت في آخر الشتاء.

(٣) أي المتقلبات من ائتفك الشيء إذ قلب قراهم الخمسة منع وصعر وعمر ودوما وسدوم وهي القرية العظمى قلبها الملك فجعل عاليها سافلها.

(٤) وجائز أن يكون الضمير في ليجعلها عائد إلى العملية عملية إنجاء المؤمنين وإهلاك الكافرين تذكرة وموعظة.

﴿وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴿١٦﴾
يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾ ﴿١٧﴾

شرح الكلمات:

نفخة واحدة : أي النفخة الأولى.

حملت الأرض والجبال : أي رُفعت من أماكنها.

فدكتا دكة واحدة : أي ضرب بعضها ببعض فاندكت وصارت كثيبا مهيلا.

وقعت الواقعة : أي قامت القيامة.

فهي يومئذ واهية : أي مسترخية ضعيفة القوة.

على أرجائها : أي على أطرافها وحافاتها.

ثمانية : أي من الملائكة وهم حملة العرش الأربعة وزيد عليهم أربعة.

لاتخفى منكم خافية : أي لا تخفى منكم سريرة من السرائر التي تخفونها.

معنى الآيات:

ما زال السياق في الحديث عن القيامة تقريرا لعقيدة البعث والجزاء التي هي الدافع إلى فعل الخير وترك الشر في الدنيا فقال تعالى ﴿فإذا نفخ في الصور[1]﴾ أي نفخ اسرافيل في الصور الذي هو البوق أو القرن النفخة الأولى وهو المراد بقوله ﴿نفخة واحدة﴾، وقوله تعالى ﴿وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة﴾ أي ضرب بعضها ببعض فاندكت فصارت هباء منبثا، ﴿فيومئذ وقعت الواقعة﴾ أي قامت القيامة ﴿وانشقت السماء﴾ أي انفطرت وتمزقت ﴿فهي يومئذ واهية﴾ ضعيفة مسترخية. ﴿والملك[2] على أرجائها﴾ أي على أطرافها وحافاتها، ﴿ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية﴾ أي ثمانية من[3] الملائك أربعة هم حملة العرش دائما وزيد عليهم أربعة فصاروا ثمانية قال تعالى ﴿يومئذ تعرضون[4] على الله لا تخفى منكم خافية﴾ أي سريرة مما كنتم تسرون.

---

(١) الفاء تفريعية لتفريع ما بعدها من تفصيل أحوال الدار الآخرة على ما تقدم من ذكر الحاقة أي القيامة والمكذبين بها وما نالهم من عذاب في الدنيا.

(٢) الملك اسم جنس المراد به اعداد هائلة من الملائكة.

(٣) قيل هم ثمانية صفوف، وقيل ثمانية أعشار أي نحو ثمانين من عدد الملائكة. وما في التفسير هو الراجح الصحيح.

(٤) أصل العرض إمرار الشيء على من يريد التأمل فيه كعرض السلعة على المشتري وكاستعراض الجيوش اليوم والمراد بالعرض الحساب والجزاء.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- تقرير عقيدة البعث والجزاء.

٢- بيان كيفية الانقلاب الكوني لنهاية الحياة الأولى وبداية الحياة الثانية.

٣- تقرير العرض على الله عز وجل للحساب ثم الجزاء.

فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ
كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ
حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾
قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾

شرح الكلمات:

هاؤم : أي خذوا

إني ظننت : أي علمت.

راضية : أي يرضى بها صاحبها.

قطوفها دانية : أي ما يقتطف ويجنى من الثمار.

بما أسلفتم : أي بما قدمتم.

في الأيام الخالية : أي الماضية.

معنى الآيات:

ما زال السياق الكريم في تقرير عقيدة البعث والجزاء ببيان ما يجري في يوم القيامة فقال تعالى [1] ﴿فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول [2] هاؤم اقرؤا كتابيه [3]﴾ أي إنه بعد مجيء الرب تبارك وتعالى لفصل

---

(١) الفاء لتفصيل ما أجمل فيما تقدمها من الكلام، وفي الكلام إيجاز بالحذف تقديره فيؤتى كل آخذ كتاب أعماله فأما من أوتي كتابه .. الخ والباء للمصاحبة في يمينه وفي إعطاء الكتاب باليمين كرامة وتبشير لصاحبه كقول الشاعر:

إذا ما راية رفعت لمجد   تلقاها عرابة باليمين

(٢) هاؤم هذا اللفظ مركب من ها ممدود أو مقصور مبني على الفتح ومعناه تعالوا أو خذوا كما في الرباء ها وهاء أي خذ. يقال ها يارجل اقرأ وللإثنين هاؤما يارجلان وهاؤم يارجال، وللمرأة هاء بكسر الهمزة وهاؤما للاثنتين وهاؤمن لجمع الإناث والأصل هاكم فأبدلت الهمزة من الكاف.

(٣) قيل نزلت هذه الاية فأما من أوتي كتابه بيمينه الخ .. في أبي سلمة بن عبد الأسد المخزمي والآية التالية لها وأما من أوتي كتابه بشماله نزلت في أخيه الأسود بن عبدالأسد المخزومي، والمعنى عام في كل سعيد وشقي.

القضاء تعطى الكتب فمن آخذ كتابه بيمينه، ومن آخذ كتابه بشماله فأما من أوتي كتابه الذي ضم حسناته بيمينه فيقول في فرح عظيم هاؤم أي خذوا كتابي فاقرأوه إنه مشرق كله ما فيه سواد السيئات، ويُعلل لسلامة كتابه من السيئات فيقول إني ظننت أي علمت أني ملاقٍ حسابيه[1] لامحالة فلذا لم أقارف السيئات وإن قدر عليّ شيء فقارفته جهلا فإني تبت منه فورا فانمحى أثره من نفسي فلم يكتب عليّ قال تعالى مخبراً عن آثار نجاحه في سلامة كتابه من السيئات فهو في عيشة راضية. أي يرضاها لهنائها وسعة خيراتها في جنّة عالية قطوفها[2] أي جناها وما يقتطف منها دانية أي قريبة التناول ينالها بيده وهو متكيء على أريكته ويقال لهم كلوا واشربوا من طعام الجنة وشرابها هنيئاً ويذكر لهم سبب فوزهم فيقول ﴿بما أسلفتم﴾ أي قدمتم لأنفسكم ﴿في الأيام الخالية﴾ أي أيام الدنيا الماضية إذ كانوا مؤمنين صوامين قوامين بالمعروف آمرن وعن المنكر ناهين.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء أي الإيمان باليوم الآخر.

٢ـ آثار الإيمان بالبعث والجزاء ظاهرة في سلامة كتاب المؤمن من السيئات. وقد علل لذلك بقوله إني ظننت أني ملاق حسابي فلذا لم أعص ربي.

٣ـ إثبات حقيقة هي قول العامة الدنيا مزرعة الآخرة أي من عمل في الدنيا نال ثمار عمله في الآخرة خيراً أو شراً.

وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ
(٢٥) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ (٢٦) يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ (٢٧) مَآ أَغْنَىٰ
عَنِّي مَالِيَهْ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ (٢٩) خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (٣٠) ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ
صَلُّوهُ (٣١) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ (٣٢) إِنَّهُۥ
كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ (٣٣) وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ (٣٤)

---

(١) كتابيه الهاء فيه وفي الآتي بعده هي هاء السكت عند الوقف إلا أنها ابقيت في الوصل والوقف مراعاة للسجع ولعلها تحكي صوت صاحبها يوم القيامة زيادة في التقرير والتوكيد حتى لهجة أحدهم محفوظة لم تتغير.

(٢) القطوف جمع قطف بكسر القاف وسكون الكاف.

﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ (٣٥) وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ (٣٦) لَا يَأْكُلُهُ
إِلَّا الْخَاطِئُونَ (٣٧)﴾

شرح الكلمات :

يا ليتني لم أوت كتابية	:	أي يتمنى أنه لم يعط كتابه لما رأى فيه من السيئات .
كانت القاضية	:	أي الموتة في الدنياكانت القاطعة لحياتي حتى لا أبعث .
هلك عني سلطانية	:	أي قوتي وحجتي .
خذوه	:	أي أيها الزبانية خذوا هذا الكافر .
فغلوه	:	أي اجعلوا يديه إلى عنقه في الغل .
ثم الجحيم صلوه	:	أي ثم في النار المحرقة أدخلوه وبالغوا في تصليته كالشاة المصلية .
حميم	:	أي من قريب ينفعه أو صديق .
إلا من غسلين	:	أي صديد أهل النار الخارج من بطونهم لأكلهم شجر الغسلين .

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم في تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر ما يجرى من أحداث وقد تقدم ذكر الذي أُوتي كتابه[(١)] بيمينه وما له من كرامة عند ربّه وفي هذه الآيات ذكر الذي أُوتي كتابه بشماله وماله من مهانة وعذاب جزاء كفره فقال تعالى ﴿وأما من أُوتي كتابه[(٢)]﴾ أي في عرصات القيامة فيقول بعد النظر فيه وما يلوح له فيه من السيئات ﴿ياليتني لم أُوت كتابيه﴾ يتمنى لو أنه لم يعط كتابه ولم يدر[(٣)] ما حسابه وأن الموتة التي ماتها في الدنيا يتمنى لو كانت القاطعة لحياته حتى لا يبعث ، ثم يواصل تحسره وتحزنه قائلا ﴿ما أغنى عني ماليه﴾ أي مالي والهاء في ماليه وفي كتابيه وحسابيه وفي ماليه وسلطانيه يقال لها هاء السكت يوقف عليها بالسكون قراءة كافة القراء وقوله ﴿هلك عني سلطانيه﴾ أي ذهبت عني حججي[(٤)] فلم أجد ما احتج به لنفسي قال تعالى للزبانية

---

(١) تقدم أنه أبو سلمة بن عبدالأسد المخزومي وزوجته هي أم المؤمنين تزوجها رسول الله ﷺ بعد موت زوجها ابي سلمة وإن الشقي هو الأسود بن عبدالأسد أخو أبي سلمة .

(٢) أي بشماله ووراء ظهره وهو كتاب سيئاته من الشرك والمعاصي كبيرها وصغيرها .

(٣) هذا من عظم ما يشاهد من شدة الحساب وشناعته هذا داخل في حيّز متمنياته ، كما هو إشارة إلى انه كان في الدنيا لا يؤمن بالحساب ولم يدر ما يجري فيه ولذا اصابته الحيرة هنا وألمّ به الكرب .

(٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما .

﴿خذوه فغلوه﴾ (١) أي شدوا يديه في عنقه بالغل﴿ثم الجحيم صلوه﴾ (٢) أي أدخلوه فيها وصلوه بحرها المرة بعد المرة كما يصلى الكبش المشوى المصلي، ﴿ثم في سلسلة﴾ طويلة ﴿ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه﴾ ولم يعرف مدى طول هذه الذراع إلا انه إذا كان الكافر ما بين كتفيه كما بين مكة وقديد قرابة مائة وخمسين ميلا فإن السلسلة في ذرعها السبعين ذراعا لابد وأن تكون مناسبة لهذا الجسم ﴿فاسلكوه﴾ أي ادخلوه فيها فتدخل من فمه وتخرج من دبره كسلك الخرزة في الخيط وذكر تعالى علّة هذا الحكم عليه فقال ﴿إنه كان أي في الدنيا لا يؤمن بالله العظيم ولا يحض على طعام (٣) المسكين﴾ فانحصرت جريمته في شيئين الكفر بالله ومنع الحقوق الواجب في المال ثم أخبر تعالى عن حال هذا الكافر الشقي في جهنم فقال ﴿فليس له اليوم ها هنا﴾ أي في جهنم ﴿حميم (٤)﴾ أي صديق أو قريب ينتفع به فيدفع عنه العذاب أو يخففه ﴿ولا طعام إلا من غسلين (٥)﴾ أي وليس له طعام يأكله إلا من طعام الغسلين الذي هو صديد أهل النار فإنهم عندما يأكلون شجر الغسلين يكون كالمسهل في بطونهم فيخرج كل ما في بطونهم وذلك هو الغسلين الذي يأكلونه ذلك الغسلين الذي لا يأكله إلا الخاطئون أي الذين ارتكبوا خطيئة الكفر والعياذ بالله تعالى.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر أحداثها.

٢- المال الذي باع المفلسون فيه الأمة والملة لا يغني يوم القيامة عن صاحبه شيئا.

٣- التنديد بالكفر بالله وأهله.

٤- عظم جريمة منع الحقوق المالية من الزكاة وغيرها.

---

(١) خذوه مقول قول ذكر في التفسير وغلوه أمر من غله يغله إذا وضع الغل وهو القيد الذي يجعل في عنق الجاني.

(٢) صلى النار يصلاها إذا أصابه حرها أو استدفأ بها، ويعدى بالتضعيف فيقال صلّاه النار وبالهمز أيضاً أصلاه يصليه ناراً.

(٣) الطعام بمعنى الإطعام وضع موضعه كوضع العطاء موضع الإعطاء كما في قول الشاعر:

أكفراً بعد ردُ الموت عنى وبعد عطائك المائه الرّتاعا

الرتاع الإبل ترتع.

(٤) الحميم هنا الغريب الذي يرق له ويدفع عنه المكروه، وهو مأخوذ من الماء الجار كأنه الصديق الذي يرق ويحترق قلبه له.

(٥) الغسلين فعلين مأخوذ من الغسل كأنه ينغسل في أبدانهم وهو صديد أهل النار السائل من جروحهم وخروجهم قال الضحاك: الغسلين شجر وهو شر الطعام وأبشعه وهو من أطعمة أهل النار مثل الضريع والزقوم وبناء على ما ذكر ان الغسلين مجموع شجر اسمه الغسلين وما تجمع من صديد أهل النار من دم وعرق ونحوه فصدق عليه لفظ الغسلين وهذا من اعجاز القرآن البلاغي.

فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾
إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾
وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ
تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا
مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ
لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى
ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾

شرح الكلمات :

بما تبصرون ومالا تبصرون : أي بكل مخلوق في الأرض وفي السماء.

انه لقول رسول كريم : أي القرآن قاله تبليغا رسولٌ كريم هو محمد ﷺ.

وما هو بقول كاهن : أي ليس القرآن بقول كاهن إذ ليس فيه من سجع الكهان شيء.

لأخذنا منه باليمين : أي بالقوة أو لأخذنا بيمينه لنقتله.

ثم لقطعنا منه الوتين : أي نياط القلب الذي إذا انقطع مات الإنسان.

حاجزين : أي مانعين وهو خبر ما النافية العاملة عمل ليس وجمع لأن احد يدل على الجمع نحو لا نفرق بين أحد من رسله وبين لا تقع إلا بين اثنين فأكثر.

وإنه لحسرة على الكافرين : أي التكذيب بالقرآن حسرة يوم القيامة على المكذبين به.

وإنه لحق اليقين : أي الثابت يقينا أو اليقين الحق.

فسبح باسم ربك العظيم[1] : أي نزه ربك العظيم الذي كل شيء أمام عظمته صغير حقير أي قل سبحان ربي العظيم.

---

(١) الباء للمصاحبة والزيادة لتقوية الكلام والتقدير سبح اسم ربك والتقدير نزه اسم ربك في أن يسمى به غيره إذ سمى المشركون العزى بدل العزيز واللات بدل الله وجائز أن يكون اسم مقحماً والتقدير فسبح ربك أي نزهه عن الشريك والشبيه وعن كل نقص وهو العظيم الذي ليس شيء أعظم منه.

معنى الآيات :

قوله تعالى فلا أقسم[1] بماتبصرون ومالا تبصرون[2] أي فلا الأمر كما ترون وتقولون أيها المكذبون أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون من المخلوقات في الأرض وفي السموات إنه أي القرآن لقول رسول كريم على ربّه تعالى وهو محمد ﷺ أي إنه تبليغه وقوله إليكم وما هو بقول شاعر. كما تقولون كذباً قليلا[3] ما تؤمنون أي إن إيمانكم قليل ضيق الدائرة فلو كان واسعاً لاتسع للإيمان بالقرآن إنه كلام الله ووحيه وليس هو من جنس الشعر لمخالفته له نظماً ومعنىً. وما هو بقول كاهن قليلا ما تذكرون أي وليس القرآن بقول كاهن قليلا ما تذكرون أي تذكركم قليل جدا فلو تذكرتم كثيرا لعلمتم أن القرآن ليس بكلام الكهان لملازمته للصدق والحق والهدى ولبعد قائله عن الإثم والكذب بخلاف قول الكهان فإن سداه ولحمته الكذب وقائله هو الإثم كله فأين القرآن من قول الكهان؟ وأين محمد الرسول من الكهان اخوان الشيطان إنه تنزيل من ربّ العالمين أيها المكذبون الضالون. وأمر آخر وهو أن الرسول محمد ﷺ ولو تقول[4] علينابعض الأقاويل ونسبها إلينا لأخـذنا منه باليمين أي لبطشنا به وأخذنا بيمينه ثم لقطعنا منه الوتين فيهلك إذ الوتين هو عرق القلب إذا قطع مات الإنسان وإذا فعلنا به هذا فمن منكم يحجزنا عنه؟ وهو معنى قوله تعالى ﴿فما منكم[5] من أحد عنه حاجزين﴾ وقوله تعالى ﴿وإنه﴾ أي القرآن ﴿لتذكرة[6]﴾ أي موعظة عظيمة للمتقين[7] الذين يخافون عقاب الله ويخشون نقمه وعذابه وإنا لنعلم أن منكم[8] أيها الناس مكذبين ليس بخاف عنا أمرهم وسنجزيهم وصفهم وانه لحسرة[9] على الكافرين أي يوم القيامة عندما يرون المؤمنين به يؤخذ بهم ذات اليمين إلى دار السلام والمكذبين به يؤخذ بهم ذات الشمال إلى دار

---

(١) الفاء للتفريع لإثبات أن القرآن منزل من عند الله تعالى ونفي ما ادعاه المشركون.

(٢) هذا بناء على أن لا رد لكلام سابق وليست زائدة وكونها زائدة لتأكيد الكلام أولى من كونها نافية، إذ وجدت في فاتحة سورتي القيامة والبلد وليس قبلهما ما ينفى كأنه يقول لا أقسم لأن الأمر لا يحتاج إلى قسم كالمتحرج من الإقسام.

(٣) جائز أن يكون لفظ قليلا في الموضعين مراداً به انتفاء ذلك كلية لأنه وقع بقلة، وقليلاً صفة لموصوف محذوف أي إيماناً قليلاً، وتذكراً قليلاً، وما مزيدة لتوكيد الكلام كما في قول الشاعر:

قليلاً به ما يحمدنك وارث   إذا نال مما كنت تجمع مغنماً

(٤) التقول نسبة قول إلى من لم يقله، والأقاويل جمع أقوال الذي هو جمع قول.

(٥) من مزيدة لتأكيد النفي وللتنصيص على العموم وفي الآية دليل أن من يدعي انه يوحى إليه لا يلبث طويلاً حتى يأخذه الله تعالى.

(٦) التذكرة اسم مصدر بمعنى التذكير وهو التنبيه إلى مغفول عنه.

(٧) خص المتقون لأنهم هم المنتفعون به لاستعدادهم بقوة ايمانهم وصحة علمهم وكمال رغبتهم في الطاعة.

(٨) في الكلام إيجاز والتقدير إنا بعثنا إليكم الرسول بهذا القرآن ونحن نعلم أنه سيكون منكم مكذبون.

(٩) جائز أن يكون الضمير عائداً على التكذيب إذ به كانت حسرة الكافرين يوم القيامة وجائز أن يكون عائداً على القرآن لأنهم لم يؤمنوا به ويعملوا بما دعا إليه من الإيمان وصالح الاعمال.

البوار. وإنه لحق اليقين[1] أي اليقين الحق. بعد هذا التقرير في إثبات الوحي والنبوة أمر تعالى رسوله الذي كذب برسالته المكذبون أمره أن يستعين على الصبر بذكر الله تعالى فقال له ﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾ أي قل سبحان ربي العظيم منزها اسمه عن تحريفه وتسمية المحدثات به معظما ربك غاية التعظيم إذ هو العليّ العظيم.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- لله تعالى أن يحلف بماشاء من مخلوقاته لحكم عالية وليس للعبد أن يحلف بغير الربّ تعالى.

٢- تقرير الوحي وإثبات النبوة المحمدية.

٣- وصف الرسول بالكرم وبكرامته على ربّه تعالى.

٤- عجز الرسول ﷺ عن الكذب على الله تعالى وعدم قدرته على ذلك لو أراده ولكن الذي لا يكذب على الناس لا يكذب على الله كما قال هرقل ما كان ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله ردّاً على أبي سفيان لما قال له لم نجرب عليه كذباً قط. .

٥- مشروعية التسبيح بقول سبحان ربي العظيم إن صح أنه لما نزلت قال النبي ﷺ لأصحابه اجعلوها في ركوعكم فكانت سنة مؤكدة سبحان ربي العظيم ثلاثا في الركوع أو اكثر.

سُورَةُ المَعَارِج

مكيـة وآياتها أربع واربعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِّنَ
ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى
يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾
إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ

(١) أي القرآن الكريم بلا خلاف.

﴿٨﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾
يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾
وَصَـٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ
جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُوا۟
مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ﴿١٨﴾

شرح الكلمات :

سأل سائل : أي دعا داع بعذاب واقع .

ليس له دافع من الله : أي فهو واقع لا محالة .

ذي المعارج : أي ذي العلو والدرجات ومصاعد الملائكة وهي السموات .

تعرج الملائكة والروح إليه : أي تصعد الملائكة وجبريل إلى الله تعالى .

في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة : أي تصعد الملائكة وجبريل من منتهى امره من أسفل الأرض السابعة إلى منتهى امره من فوق السموات السبع في يوم مقداره خمسون ألف سنة بالنسبة لصعود غير الملائكة من الخلق .

إنهم يرونه بعيداً : أي العذاب الذي يطالبون به لتكذيبهم وكفرهم بالبعث .

يوم تكون السماء كالمهل : أي كذائب النحاس .

وتكون الجبال كالعهن : أي كالصوف المصبوغ الوانا في الخفة والطيران بالريح .

ولا يسأل حميم حميما : أي قريب قريبه لانشغال كل بحاله .

يبصرونهم : أي يبصر الأَحْمَاء بعضهم بعضا ويتعارفون ولا يتكلمون .

وصاحبته : أي زوجته .

وفصيلته التي تؤويه : أي عشيرته التي تضمه إليها نسباً وتحميه من الأذى عند الشدة .

إنها لظى نزاعة للشوى(١) : أي ان جهنم هي لظى نزاعة للشوى جمع شواة جلدة الرأس .

أدبر وتولى : أي عن طاعة الله ورسوله وتولى عن الإيمان فأنكره وتجاهله .

---

(١) قرأ نافع والجمهور برفع نزاعة وقرأ حفص بنصبها.

وجمع فأوعى : أي جمع المال وجعله في وعاء ومنع حق الله تعالى فيه فلم ينفق منه في سبيل الله .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿سأل[1] سائل بعذاب واقع﴾ هذه الآيات نزلت رداً على دعاء النضر بن الحارث ومن وافقه اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو إئتنا بعذاب اليم فأخبر تعالى عنه بقوله ﴿سأل سائل بعذاب[2] واقع للكافرين ليس له من دافع من الله﴾ أي انه واقع لا محالة إذ ليس له دافع من الله ﴿ذي المعارج﴾ أي صاحب العلو والدرجات ومصاعد الملائكة وهي السموات وقوله تعالى ﴿تعرج الملائكة والروح إليه﴾ أي[3] تصعد الملائكة وجبريل إليه تعالى ﴿في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾ أي يصعدون من منتهى أمره من أسفل الأرض السابعة إلى منتهى أمره من فوق السموات السبع في يوم مقداره خمسون ألف سنة بالنسبة لصعود غير الملائكة من الخلق ﴿فاصبر[4] صبراً جميلاً﴾[5] وقوله تعالى ﴿انهم يرونه بعيداً ونراه قريبا﴾ يعني أن المشركين المكذبين يرون العذاب بعيدا لتكذيبهم بالبعث الآخر. ونحن نراه قريبا ويبين تعالى وقت مجيئه فقال ﴿يوم تكون السماء كالمهل﴾ أي تذوب فتصير كذائب النحاس ﴿وتكون الجبال كالعهن﴾ أي الصوف المصبوغ خفة وطيرانا بالريح وهذا هو الانقلاب الكوني حيث فني كل شيء ثم يعيد الله الخلق فإذا الناس في عرصات القيامة واقفون حفاة عراة ﴿لا يسأل حميم حميما﴾ لانشغال كل بنفسه كما قال تعالى ﴿لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه﴾ عن السؤال عن غيره أو عن سؤال غيره وقوله تعالى ﴿يبصرونهم﴾ أي عدم سؤال بعضهم بعضا ليس ناتجا عن عدم معرفتهم لبعضهم بعضاً[6] لا بل يبصرهم ربهم بهم فيعرف كل قريب قريبه ولكن اشتغاله بنفسه يحول دون سؤال غيره، ويشرح هذا المعنى قوله تعالى يودّ المجرم أي ذو الاجرام على نفسه بالشرك والمعاصي لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه أي أولاده الذكور ففضلا عن الإناث وصاحبته أي زوجته وأخيه وفصيلته التي تؤويه بأن تضمه إلى نسبها والفصيلة العشيرة انفصلت

(١) قرأ نافع سال بدون همزة تخفيفا وقرأ حفص سأل بالهمزة على الأصل.

(٢) وإن كانت الباء في بعذاب بمعنى عن فيكون السائل سأل عن العذاب لمن يقع أو متى يقع كقوله تعالى فاسأل به خبيراً أي عنه خبيراً وكقول الشاعر:

فإن تسألوني بالنساء فإنني ... بصير بأدواء النساء طبيب

ومن بلاغة القرآن تعدية سأل بالباء ليكون صالحاً للاستفهام والدعاء والاستعجال.

(٣) هذا العروج كائن يوم القيامة وهو اليوم الذي مقداره خمسون ألف سنة.

(٤) الفاء للتفريع إذ سبق أنّ السائل بالعذاب كان مستهزئاً مستخفاً فلذا أمر الله رسوله بالصبر الجميل على ما يقوله المشركون.

(٥) الجملة تعليلية لكل من جملة سأل سائل بعذاب وللأمر بالصبر.

(٦) قرأ نافع يومئذ بفتح يومئذ وقرأ الجمهور بكسرها بإضافة عذاب إليها.

من القبيلة ومن في الأرض جميعا ثم ينجيه لنتصور عذابا يود المجرم من خوفه منه أن يفتدي بكل شيء في الأرض كيف يكون؟ ومن هنا يرى القريب قريبه ولا يسأله عن حاله لانشغال نفسه عن نفس غيره. وقوله تعالى ﴿كلا﴾[1] أي لا قرابة يومئذ تنفع ولا فداء يقبل ﴿إنها﴾ أي جهنم ﴿لظى نزاعة للشوى﴾ أي لجلدة الرأس ولكل عضو غير قاتل للإنسان إذا نزع منه. تدعو أي جهنم المسماة لظى تدعو تنادي إليّ إليّ يا من أدبر عن طاعة الله ورسوله وتركها ظهره فلم يلتفت إليها وتولى عن الإيمان فلم يطلبه تكميلا له ليصبح إيمانا يحمله على الطاعات وجمع الأموال فأوعاها في أوعية[2] ولم يؤد منها الحقوق الواجبة فيها من زكاة وغيرها إذ في المال حق غير الزكاة. ومن دعته جهنم دفع إليها دفعاً كما قال تعالى ﴿يوم يُدَعُّون إلى نار جهنم دعا﴾ نعوذ بالله من جهنم وموجباتها من الشرك والمعاصي.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ حرمة سؤال العذاب فإن عذاب الله لا يطاق ولكن تسأل الرحمة والعافية.

٢ـ وجوب الصبر على الطاعة وعلى البلاء فلا تسخّط ولا تجزع.

٣ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء.

٤ـ عظم هول الموقف يوم القيامة وصعوبة الحال.

٥ـ التنديد بالمعرضين عن طاعة الله ورسوله الجامعين للأموال المشتغلين بها حتى سلبتهم الإيمان والعياذ بالله فأصبحوا يشكّون في الله وآياته ولقائه.

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ

(١) كلا حرف ردع وإبطال لكلام سابق.

(٢) ومنه الحديث لا تُوعي فيوعى عليك أي لا تمسكي عن الإنفاق فيمسك عليك.

رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰ
أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ
ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ
﴿٣٢﴾ وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ
﴿٣٤﴾ أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾

شرح الكلمات :

إن الإنسان خلق هلوعا : أي إذا مسه الشر جزوعاً وإذامسه الخير منوعا أي كثير الجزع سريعه وكثير المنع حريصا عليه.

على صلاتهم دائمون : أي لا يقطعونها أبداً ما داموا أحياء يعقلون.

حق معلوم : أي نصيب معيّن عينه الشارع وهو الزكاة.

للسائل والمحروم : أي الطالب الصدقة والذي لا يطلبها حياء وتعففا.

يصدقون بيوم الدين : أي يؤمنون بيوم القيامة للبعث والجزاء.

مشفقون : أي خائفون متوقعون العذاب عند المعصية.

لفروجهم حافظون : أي صائنون لها عن النظر إليهاوعن الفاحشة.

أو ما ملكت أيمانهم : أي من السُّريات من الجواري التي يملكونها.

فأولئك هم العادون : أي المعتدون الظالمون المتجاوزون الحلال إلى الحرام.

لأماناتهم : أي ما ائتمنوا عليه من أمور الدين والدنيا.

راعون : أي حافظون غير مفرطين.

قائمون : أي يقيمون شهاداتهم لا يكتمونها ولا يحرفونها.

يحافظون : أي يؤدونها في أوقاتها في جماعات مع كامل الشروط والأركان والواجبات والسنن.

معنى الآيات :

قوله تعالى إن الإنسان أي هذا الآدمي المنتصب القامة الضاحك الذي سمي بالإنسان لأنسه

بنفسه ورؤية محاسنها ولنسيانه واجب شكر ربّه هذا الإنسان خلق هلوعاً قابلا لوصف الهلع فيه عند بلوغه سن التمييز والهلع مرض نفسي عرضه الذي يُعرَف به جزعه الشديد متىٰ مسه الشر، ومنعه القوي للخير متىٰ مسه وظفر به. فقد فسر تعالى الهلع بقوله، ﴿إذا مسه الشر جزوعاً وإذا مسه الخير منوعاً﴾. ثم ذكر تعالى ما يعالج به هذا المرض باستثنائه من جنس الإنسان من يتصفون بالصفات الآتية وهي عبارة عن عبادات شرعية بعضها فعل وبعضها ترك من شأنها القضاء على هذا المرض الخطير المسمى بالهلع والذي لا يعالج إلا بما وصف تعالى في قوله:

١) إدامة الصلاة بالمواظبة عليها ليل نهار إذ قال تعالى ﴿إلا المصلين[1] الذين هم على صلاتهم دائمون[2]﴾ وبشرط أن تؤدى إيماناواحتسابا وأداءً صحيحا بمراعاة شروطها وأركانها وسننها.

٢) الاعتراف بما اوجب الله في المال من حق واعطاء ذلك الحق بطيب نفس لمن سأل ولمن لم يسأل ممن هم أهل للزكاة والصدقات لقوله ﴿والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم﴾.

٣) التصديق الكامل بيوم القيامة وهو البعث والجزاء لقوله تعالى ﴿والذين يصدقون بيوم الدين﴾.

٤) الاشفاق والخوف من عذاب الله عند عروض خاطر المعصية بترك واجب أو فعل محرم لقوله تعالى ﴿والذين هم من عذاب ربهم مشفقون﴾ أي دائما وأبداً لأن عذاب ربهم غير مأمون الوقوع.

٥) حفظ الفرج بستره عن أعين الناس ما عدا الزوج وصيانته من فاحشة الزنا واللواط وجلد عميرة أي الاستمناء باليد والمعروف اليوم بالعادة السرية لقوله تعالى ﴿والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم﴾ من السراري ﴿فإنهم غير ملومين﴾ في إتيانهم أزواجهم وجواريهم اللائي ملكوهنّ بالجهاد أو الشراء الشرعي وقوله تعالى ﴿فمن ابتغى﴾ أي طلب ما وراء الزوجة والسريّة ﴿فأولئك هم العادون﴾ أي الظالمون الذين تجاوزوا الحلال إلى الحرام فكانوا بذلك معتدين ظالمين.

٦) حفظ الأمانات والعهود ومن أبرز الأمانات وأقوى العهود ما التزم به العبد من عبادة الله تعالى بطاعته وطاعة رسوله والوفاء بذلك حتى الموت زيادة على أمانات الناس والعهود لهم الكل واجب الحفظ والرعاية لقوله ﴿والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون﴾ أي حافظون.

---

(١) الاستثناء منقطع أي لكن المصلين الذين وصفهم كيتَ وكيت وهي ثمان صفات وهي صفات المؤمنين الصادقين.
(٢) الدوام على الشيء عدم تركه وذلك في كل عمل بحسب ما يعتبر دواماً فيه.

٧) إقامة الشهادة بالاعتدال فيها بحيث يؤديها ولا يكتمها ويؤديها قائمة لا اعوجاج فيها لقوله تعالى ﴿والذين هم بشهاداتهم[(١)] قائمون﴾.[(٢)]

٨) المحافظة على الصلوات الخمس مستوفاة الشروط والأركان من الخشوع إلى الطمأنينة في الركوع والسجود والاعتدال في القيام لقوله تعالى ﴿والذين هم على صلاتهم يحافظون﴾ بعد أدائها وعدم قطعها بحال من الأحوال.

فهذه الوصفة الربانية متى استعملها الإنسان المؤمن تحت إشراف عالم ربّاني إن وجده وإلاّ فتطبيقها بدون إشراف ينفع بإذن الله متى اجتهد المؤمن في حسن تطبيقها بريء من ذلك المرض الخطير وأصبح أهلا لإكرام الله تعالى في الدار الآخرة قال تعالى في ختام هذه الوصفة ﴿أولئك في جنّات مكرمون﴾[(٣)] أي أولئك المطبقون لهذه الوصفة الناجحون فيها ﴿في جنّات مكرمون﴾ في جوار ربهم اللهم اجعلنا منهم يا غفور يا رحيم.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- بين شر صفات الإنسان وانها الهلع.

٢- بيان الدواء لهذا الداء داء الهلع الذي لا فلاح معه ولا نجاح.

٣- انحصار العلاج في ثماني صفات أو ثماني مركبات دوائية.

٤- وجوب العمل بما اشتملت عليه الوصفة من واجبات.

٥- حرمة مااشتملت عليه الوصفة من محرمات.

فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ
﴿٣٦﴾ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ
أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾
فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ

---

(١) قرأ نافع شهادتهم بالإفراد وقرأ حفص شهاداتهم بالجمع وقراءة الإفراد بمعنى الجمع لأن شهادة اسم جنس تدل على متعدد.

(٢) القيام بالشهادة: الاهتمام بها وحفظها إلى أن تؤدى.

(٣) والإكرام: التعظيم وحسن اللقاء أي هم مع جزائهم بالجنات يكرمون بحسن اللقاء والثناء. في جنات خبر أولئك ومكرمون خبر ثانٍ.

وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَٰقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِى
يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ
﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الَّذِى كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾

شرح الكلمات:

قبلك مهطعين؟ : أي نحوك مديمي النظر إليك.

عزين : أي جماعات حلقا حلقا يقولون في استهزاء بالمؤمنين لئن دخل هؤلاء الجنة لندخلها قبلهم.

إنا خلقناهم مما يعلمون : أي من منيّ قذر وإنما يستوجب دخول الجنة بالطاعات المزكية للنفوس.

على أن نبدل خيرا منهم : أي إنا لقادرون على أن نهلكهم ونأتي بأناسٍ خير منهم.

وما نحن بمسبوقين : أي بعاجزين عن إيجاد ما ذكرنا من اهلاك القوم والإتيان بخير منهم.

يوم يخرجون من الأجداث : أي من القبور مسرعين إلى المحشر.

سراعا كأنهم إلى نصب يوفضون: أي كأنهم في إسراعهم إلى المحشر إلى نصب أي شيء منصوب كراية أو علم يسرعون.

ترهقهم ذلة : أي تغشاهم ذلة.

ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون: أي يوعدون بالعذاب فيه وهو يوم القيامة.

معنى الآيات:

قوله تعالى فما للذين[1] كفروا قبلك مهطعين يخبر تعالى مقبحا سلوك المشركين إزاء رسوله ﷺ فيقول ما للذين كفروا من كفار مكة قبلك أي جهتك حيث كنت في المسجد الحرام مهطعين أو مسرعين مديمي النظر إليك عن اليمين وعن الشمال عزين أي عن يمينك وعن شمالك عزين جمع عزة أي جماعة فهم حلق حلق يستمعون إلى قراءتك بحثا عن كلمة يمكنهم أن يشنعوا بها عليك ويجعلونها مطعنا في دعوتك أي سخرية يسخرون بها وبك ويقولون استهزاء بالمؤمنين لئن دخل هؤلاء الجنة لندخلنها قبلهم فرد تعالى عليهم منكرا طمعهم الفارغ بقوله ﴿أيطمع كل امرىء[2]

(١) الاستفهام إنكاري تعجبي من تجمع المشركين إلى النبي ﷺ مستهزئين بما يسمعون من وعد المؤمنين بالجنة ووعيد المشركين بالنار، ومعنى الآية أي شيء ثبت للذين كفروا في حال إهطاعهم إليك.

(٢) هذه الجملة بدل اشتمال من جملة فما للذين كفروا.

منهم أن يدخل جنة نعيم﴾ أي بستان إكرام وتنعم كلا لن يتم هذا لهم ولن يكون وهم أنجاس الأرواح بالشرك والمعاصي، ولفت النظر إلى أصل الخلقة وهي المنيّ القذر والقذر لا يدخل دار السلام فمن أراد الجنة فليزك نفسه وليطهرها بالإيمان والعمل الصالح مبعداً لها عما يُدَسّيها من الشرك والمعاصي وهو ما تضمنه قوله تعالى ﴿إنا خلقناهم[1] مما يعلمون﴾ وقوله عز وجل ﴿فلا أقسم بربِّ المشارق والمغارب﴾ أي فلا الأمر كما يتصورون من أنهم لا يبعثون بعد موتهم أقسم برب المشارق الثلاثمائة والستين مشرقا ومغربا حيث الشمس تطلع كل يوم في مطلع وتغرب في آخر لا تعود إليه إلاَّ بعد سنة في مثل ذلك اليوم فأقسم تعالىٰ بنفسه، والمقسم عليه قوله ﴿إنَّا لقادرون﴾ أي علىٰ أن نهلكهم ونأتي بخير منهم ﴿ وما نحن بمسبوقين﴾ أي عاجزين عن ذلك فكيف إذاً لا نعيدهم أحياء بعد موتهم يوم القيامة ﴿فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتىٰ يلاقوا يومهم الذي يوعدون﴾ أي أمر تعالىٰ رسوله أن يتركهم وما يخوضون فيه من اللهو واللعب والباطل في القول والعمل، وهو تهديد خفي لهم ﴿حتىٰ يلاقوا﴾ علىٰ ما هم عليه من أدران الشرك وأوضار المعاصي يومهم الذي يوعدون بالعذاب فيه وهو يوم القيامة وشرح حال اليوم فقال يوم يخرجون من الأجداث أي القبور جمع جدث سراعاً أي مسرعين كأنهم إلى نصْب[2] أي شيء منصوب من راية أو علم أو تذكار يوفضون أي يحشرون مسرعين حال كون أبصارهم خاشعة أي ذليلة من الفزع والخوف ترهقهم ذلة أي تغشاهم ذلة عجيبة عظيمة. وقوله تعالى ﴿ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون﴾ أي هذا هو اليوم الذي كانوا يوعدون بالعذاب فيه وهو يوم القيامة الذي أنكروه وكذبوا به ها هو ذا قد حصل فليتجرعوا غصص الندم وألوان العذاب.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ بيان الحال التي كان عليها الرسول ﷺ في مكة بين ظهراني قريش وما كان يلاقي من أذاهم.

٢ـ بيان أن الجنة تدخل بالطهارة الروحية من قذر الشرك والمعاصي وإلاَّ فأصل الناس واحد المنيّ القذر باستثناء آدم وحواء وعيسى فآدم أصله الطين وحواء خلقت من ضلع آدم، وعيسى كان بنفخ روح القدس في كم درع مريم فكان بكلمة الله تعالى ومن عداالثلاثة فمن ماء مهين ونطفة قذرة.

---

(١) في قوله تعالى إنا خلقناهم مما يعلمون ازدراء بهم وتهكم من حالهم إذ يجادلون ويعاندون وهم مخلوقون من نطفة مذرة.

(٢) النصب بفتح النون وسكون الصاد: الصنم قرأ نافع نصب بفتح وسكون وقرأ حفص نصب بضم كل من النون والصاد والمعنى واحد وهو الصنم قال الشاعر:

وذا النَّصبَ المنصوبَ لا تنسكنّه   لعافية والله ربُّك فاعبـدا

٣ـ الاستدلال بالنشأة الأولى على إمكان الثانية .

٤ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء .

٥ـ بيان أن حياة أهل الكفر مهما تراءى لهم ولغيرهم أنها حياة مدنية سعيدة لم تَعد كونها باطلا ولهوا ولعباً .

سُورَةُ نُوحٍ

مكيـة وآياتها ثمان وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ ٱعْبُدُوا۟
ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ
إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ
﴿٤﴾

شرح الكلمات :

إنا أرسلنا نوحا إلى قومه : أي أهل الأرض كافة والدليل إغراقهم أجمعين .

أن أنذر قومك : أي بإنذار قومك .

إني لكم نذير مبين : أي بين النذارة ظاهرها .

أن اعبدوا الله : أي وحده بفعل محابه وترك مكارهه ولا تشركوا به شيئا .

واتقوه : فلا تعصوه بترك عبادته ولا بالشرك به .

وأطيعون : فيما آمركم به وأنهاكم عنه لأني مبلغ عن الله ربي وربكم .

يغفر لكم من ذنوبكم : أي ذنوبكم التي هي الشرك والمعاصي فمن زائدة لتقوية الكلام أو هي تبعيضية لأن ما كان حقا لآدمي كمال وعرض لا يغفر إلا بالتوبة .

ويؤخركم إلى أجل مسمى : أي إلى نهاية آجالكم المسماة لكم في كتاب المقادير فلا يعجل لكم بالعذاب .

إن أجل الله : أي بعذابكم .

لا يؤخر : إن لم تؤمنوا .

لو كنتم تعلمون : أي لآمنتم.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿إنا أرسلنا نوحا إلى قومه﴾[1] يخبر تعالى لافتاً نظر منكري رسالة نبيّه محمد ﷺ من مشركي قريش وكفار مكة أن محمداً رسول الله ليس بأول رسول حتى تنكر رسالته، كما أن السورة بجملتها فيها تسلية لرسول الله ﷺ مما يلاقي من مشركي قومه إذ نوح عليه السلام قد لاقى ما هو أشد وأطول مدة والآيات ناطقة بذلك وقوله تعالى ﴿أن انذر قومك﴾ أي أرسلناه بإنذار قومه من قبل أن يأتيهم عذاب أليم[2] هو عذاب الدنيا بالاستئصال وعذاب الآخرة بالاستمرار والدوام. وقوله تعالى ﴿قال ياقوم إني لكم نذير مبين﴾ أي امتثل نوح أمر ربه وقال لقومه يا قوم أني لكم نذير مبين أي مخوف من عواقب كفركم بالله وشرككم به. ﴿أن اعبدوا[3] الله واتقوه وأطيعون﴾ اعبدوه وحده ولا تشركوا به شيئا واتقوه فلا تعصوه بترك عبادته ولا بالشرك به، وأطيعون فيما آمركم به وأنهاكم عنه لأني مبلغ عن الله ربي وربكم ولا آمركم إلا بما يكملكم ويسعدكم ولا أنهاكم إلا عما يضركم ولا يسركم فإن تجيبوا لما دعونكم إليه يغفر لكم من[4] ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى أي إلى نهاية آجالكم فلا يعاجلكم بالعقوبة ﴿إن أجل الله﴾ أي بعذابكم إذا جاء لا يؤخر ﴿لو كنتم تعلمون[5]﴾ أي لو علمتم ذلك لأنبتم إلى ربكم فتبتم إليه واستغفرتموه.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- تقرير النبوة المحمدية إذ الذي أرسل نوحاً يرسل محمداً ﷺ ومن شاء إلى من شاء.

٢- تقرير التوحيد إذ نوح أرسل إلى قوم مشركين لإبطال الشرك وتحقيق التوحيد.

٣- تقرير معتقد القضاء والقدر لقوله ﴿ويؤخركم إلى أجل مسمى﴾ أي في كتاب المقادير.

قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ

---

(١) نوح هو ابن لامك بن متوشلخ بن اخنون وهو إدريس بن برد بن مَهْلاَبِيل بن أنوش ابن قينان بن شيث بن آدم عليه السلام.

(٢) جائز أن يكون العذاب في الدنيا وان يكون عذاب النار يوم القيامة.

(٣) إن مفسرة كالتي في قوله أن أنذر قومك.

(٤) جائز أن يكون من زائدة لتقوية الكلام وأن تكون تبعيضية إذ بعض الذنوب لا تغفر إلا بالتحلل من أصحابها وهي حقوق الأدميين.

(٥) روي أنهم كانوا يضربونه حتى يغشى عليه فيقول: ربِّ اغفر لقومي فإنهم لايعلمون.

فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا
﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوۡتُهُمۡ جِهَارٗا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ
لَهُمۡ إِسۡرَارٗا ﴿٩﴾ فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ﴿١٠﴾
يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ﴿١١﴾ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل
لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا ﴿١٣﴾
وَقَدۡ خَلَقَكُمۡ أَطۡوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمۡ تَرَوۡاْ كَيۡفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ
طِبَاقٗا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا ﴿١٦﴾
وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ
إِخۡرَاجٗا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ بِسَاطٗا ﴿١٩﴾ لِّتَسۡلُكُواْ مِنۡهَا
سُبُلٗا فِجَاجٗا ﴿٢٠﴾

شرح الكلمات:

ليلا ونهارا	: أي دائما باستمرار.
إلا فرارا	: أي منّي ومن الحق الذي ادعوهم إليه وهو عبادة الله وحده.
جعلوا أصابعهم في آذانهم	: أي حتى لا يسمعوا ما أقول لهم.
واستغشوا ثيابهم	: أي تغطوا بها حتى لا ينظروا إليّ ولا يروني.
وأصروا	: على باطلهم وما هم عليه من الشرك.
يرسل السماء عليكم مدرارا	: أي ينزل عليكم المطر متتابعا كلما دعت الحاجة إليه.
ويجعل لكم جنات	: أي بساتين.
مالكم لا ترجون لله وقارا	: أي لا تخافون لله عظمته وكبرياءه وهو القاهر فوق عباده.
وقد خلقكم أطوارا	: أي حالا بعد حال فطورا نطفة وطورا علقة وطورا مضغة.
وجعل الشمس سراجا	: أي مضيئة.

أنبتكم من الأرض نباتا : أي أنشأكم من تراب الأرض.

ثم يعيدكم فيها : أي تقبرون فيها.

ويخركم منها إخراجا : أي يوم القيامة.

سبلا فجاجا : أي طرقا واسعة.

معنى الآيات:

هذه الآيات تضمنت لوحة مشرقة يهتدي بضوئها الهداة الدعاة إلى الله عز وجل إذ هي تمثل عرض حال قدمه نوح لربه عز وجل هو خلاصة دعوة دامت قرابة تسعمائة وخمسين سنة ولنصغ إلى نوح عليه السلام وهو يشكوا إلى ربّه ويعرض عليه ما قام به من دعوة إليه فقال ﴿رب إني دعوت قومي﴾ وهم أهل الأرض كلهم يومئذ ﴿ليلا ونهارا﴾ أي بالليل وبالنهار إذ بعض الناس لا يمكنه الاتصال بهم إلا ليلا ﴿فلم يزدهم دعائي﴾[1] إياهم إلى الإيمان بك وعبادتك وحدك ﴿إلا فرارا﴾ مني[2] ومما أدعوهم إليه وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم بأن يستغفروك ويتوبوا إليك لتغفر لهم ﴿جعلوا أصابعهم في آذانهم﴾ حتى لا يسمعوا ما أقول لهم، ﴿واستغشوا ثيابهم﴾ أي تغطوا بها حتى لا يروني ولا ينظروا إلى وجهي كراهة لي وبغضا فيّ ﴿وأصروا﴾ على الشرك والكفر إصراراً متزايدا عنادا ﴿واستكبروا استكبارا﴾ عجيباً[3].

﴿ثم اني دعوتهم﴾ إلى توحيدك في عبادتك وإلى ترك الشرك فيها ﴿جهارا﴾ أي مجاهرا بذلك ﴿ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم اسرارا﴾ بحسب الجماعات والظروف أطرق كل باب بحثا عن استجابتهم للدعوة وقبولهم للهدى فقلت ﴿استغفروا ربكم إنه كان[4] غفارا يرسل السماء[5] عليكم مدرارا﴾ أي ينزل عليكم المطر متتابعا فلا يكون قحط ولا محل ﴿ويمددكم بأموال وبنين﴾ كما هي رغبتكم ﴿ويجعل لكم جنات﴾ بساتين ذات نخيل وأعناب ﴿ويجعل لكم أنهارا﴾ تجري في تلك البساتين تسقيها. ثم التفت إليهم وقال لهم منكرا عليهم استهتارهم وعدم خوفهم ﴿ما لكم لا ترجون لله وقارا﴾ أي ما دهاكم أي شيء جعلكم لا ترجون لله وقارا لا تخافون عظمته وقدرته وكبرياءه ﴿وقد خلقكم أطوارا﴾ ولفت نظرهم إلى مظاهر قدرة الله تعالى فقال لهم ﴿ألم تروا كيف

---

(١) قرأ نافع دعائي بفتح العين واسكنها حفص.

(٢) أي إلا تباعدا عن الإيمان وإعراضاً عنه.

(٣) إذ قالوا له: أنؤمن لك واتبعك الأرذلون والحامل لهم على هذا القول الكبر الذي تجاوزوا الحد فيه.

(٤) إنه كان غفاراً هذا منه عليه السلام ترغيب لهم في التوبة قال الفضيل بن عياض قول العبد استغفر الله معناه أقلني.

(٥) يرسل السماء المراد المطر لا السماء هذا كقول الشاعر:

إذا نزل السماء بأرض قوم   دعيناه وإن كانوا غضابا

(٦) يروى عن الحسن البصري أن رجلاً شكا إليه الجدوبة فقال له استغفر الله، وشكا آخر إليه الفقر فقال له استغفر الله، وشكا إليه آخر جفاف بستانه فقال له استغفر الله وقال له آخر ادع الله أن يرزقني ولداً فقال له استغفر الله، فقيل له في ذلك، فقال: ما قلت من عندي شيئاً إن الله يقول في سورة نوح ﴿فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً﴾.

خلق الله سبع سموات طباقا﴾ سماء فوق سماء مطابقة لها ﴿وجعل القمر فيهن[1] نورا﴾ ينير ما فوقه من السموات وما تحته من الأرض ﴿وجعل الشمس سراجاً﴾ وهاجا مضيئا يضيء بوجهه السموات وبقفاه الأرض كالقمر ﴿والله أنبتكم من الأرض نباتا﴾ إذ أصلكم من تراب والنطف أيضا من الغذاء المكون من التراب ثم خلقتكم تشبه النبات وهي على نظامه في الحياة والنماء. ﴿ثم يعيدكم فيها﴾ أي في الأرض بعد الموت فتدفنون فيها ﴿ويخرجكم منها﴾ أيضا ﴿إخراجا﴾ يوم القيامة للحساب والجزاء﴿والله جعل لكم الأرض بساطا﴾أي مفروشة مبسوطة صالحة للعيش فيها والحياة عليها، ﴿لتسلكوا منها سبلا فجاجا﴾ أي طرقا واسعة وهكذا تجول بهم نوح عليه السلام في معارض آيات الله الكونية وكلها دالة على وجود الله تعالى وقدرته وعلمه وحكمته ورحمته وهي موجبة للعبادة له عقلا ونفيها عما سواه كانت هذه مشكلة نوح وعرض حاله على ربّه وهو أعلم به وفي هذا درس عظيم للدعاة الهداة المهديين جعلنا الله منهم آمين.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- رسم الطريق الصحيح للدعوة القائم على الصبر وتلوين الأسلوب.

٢- بيان كره المشركين للتوحيد والموحدين انهم لبغضهم لنوح ودعوة التوحيد سدوا آذانهم حتى لا يسمعوا وغطوا وجوههم حتى لا يروه واستكبروا حتى لا يروا له فضلا.

٣- استعمال الحكمة في الدعوة فإن نوحاً لما رأى أن قومه يحبون الدنيا أرشدهم إلى الاستغفار ليحصل لهم المال والولد.

٤- استنبط بعض الصالحين[2] من هذه الآية أن من كانت له رغبة في مال أو ولد فليكثر من الاستغفار الليل والنهار ولا يمل يعطه الله تعالى مراده من المال والولد.

قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٤﴾

(١) أي في السماء الدنيا، إذ يقال أتاني بنو تميم وأتيت بني تميم والمراد بعضهم.

(٢) تقدم انه الحسن البصري رحمه الله تعالى.

شرح الكلمات :

عصوني : أي لم يطيعـوني فيما دعوتهم إليه وأمرتهم به من عبادتك وحدك وترك الشرك بك .

واتبعوا : أي السفلة منهم والفقراء .

من لم يزده ماله وولده : أي الرؤساء المنعم عليهم .

إلا خسارا : أي طغيانا وكفرا .

مكرا كبارا : أي عظيما جدا بأن كذبوا نوحا وآذوه أذى شديدا .

وقالوا : أي الرؤساء قالوا للسفلة منهم .

لاتذرن آلهتكم : أي لا تتركن آلهتكم .

ولا تذرن : أي ولا تتركن كذلك ودا ولا سواعا ولا يغوث ولا يعوق ونسرا .

وقد اضلوا : أي بالأصنام كثيرا من الناس حيث أمروا بعبادتها .

معنى الآيات :

بعد ذلك العرض الكريم الذي تقدم به رسول الله نوح عليه السلام إلى ربه ليعذره ويكرمه تقدم بشكوى مشفوعة بالدعاء بالهلاك على الظالمين ﴿فقال ربّ انهم عصوني واتبعوا من لم يزده ماله وولـده إلا خسـارا﴾ أي طغيانـا وكفـرا. ﴿ومكـروا مكـرا كبـارا﴾ أي عظيمـا جدا حيث كانوا يعرضـون بنوح وقد يضربونه وهو صابر محتسب وقالوا لبعضهم البعض متواصين بالباطل ﴿لا تذرن الهتكم﴾ وسموا منها رؤساءها وهم خمسة ود وسواع ويغوث ويعوق ونسرٌ وقد أضلوا كثيرا أي من عباد الله حيث ورثـوا هذه الأصنام فيهم فتبعهم الناس على ذلك فضلوا ثم دعا عليهم قائلا ﴿ولا تزد الظالمين إلا ضلالا﴾ قال هذا بعد أن أيس من إيمانهم وعدم هدايتهم لطول ما مكث بينهم يدعوهم وهم لا يزدادون إلا كفرا وضلالا .

(١) يعني كبراءهم وأغنياءهم وأهل الترف فيهم الذين لم يزدهم كفرهم وأموالهم وأولادهم إلا ضلالا .

(٢) كبارا: نحو قرّاء وعجاب وطوال وعمال.

(٣) روى البخاري عن ابن عباس: ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسخ العلم عبدت .

(٤) قال ابن عباس: رجا نوح الأبناء بعد الآباء فيأتي بهم الولد بعد الولد حتى بلغوا سبع قرون ثم دعا عليهم بعد الإياس منهم وعاش بعد الطوفان ستين عاماً حتى كثر الناس وفشوا.

(٥) من عجيب ما يدعو إليه الشيطان أن يعوق ونسرا عبدا في القرن الرابع عشر في قرية ليوه حيث كانوا يستسقون بهما، وان يغوث ويعوق وود وسواع ونسر كانت موزعة بين القبائل العربية وفي يعوق يقول الشاعر:

يريش الله في الدنيا ويبري ولا يبري يعوق ولا يريش

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ـ مشروعية الشكوى إلى الله تعالى ولكن بدون صخب ولا نصب.

٢ـ بيان أن السفلة والفقراء يتبعون الرؤساء والأغنياء وأصحاب الحظ.

٣ـ بيان أن المكر من شأن الكافرين والظالمين.

٤ـ بيان أن المشركين لضلالهم يطلقون لفظ الآلهة على من يعبدونهم من الأصنام والأوثان.

٥ـ مشروعية الدعاء على الظالمين عند اليأس من هدايتهم.

مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَارًا فَلَمْ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ
ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ
دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا
كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ
مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ﴿٢٨﴾

شرح الكلمات :

مما خطيئاتهم أغرقوا : أي بسبب خطيئاتهم أغرقوا بالطوفان.

فأدخلوا نارا : أي بعد موتهم أدخلت أرواحهم النار.

ديارا : أي من يدور يذهب ويجيء أي لم يبق أحد.

إن تذرهم : أي أحياء لم تهلكهم.

إلا تبارا : أي هلاكا وخسارا.

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿ مما خطيئاتهم أغرقوا ﴾[1] يخبر تعالى عن نهاية قوم نوح بعد أن دعا عليهم نوح لما علم بالوحي الإلهي انهم لا يؤمنون فقال تعالى مما خطيئاتهم أي ومن خطيئاتهم أي بسبب خطيئاتهم التي هي الشرك والظلم والتكذيب والأذى لنوح عليه السلام أغرقوا بالطوفان فلم يبق منهم أحد ﴿فأدخلوا نارا﴾ أي بمجرد ما يغرق الشخص وتخرج روحه يُدخل النار في البرزخ. وقوله تعالى ﴿فلم[2]

---

(١) مما خطيئتهم (ما) زائدة والأصل من خطيئتهم ومن تعليلية وما الزائدة لتوكيد معنى التعليل.

(٢) الفاء تفريعيّة.

يجدوا لهم من دون الله أنصارا﴾ وهو كذلك فمن ينصر من يريد هلاكه وخزيه وعذابه. ثم ذكر تعالى دعوة نوح التي كان الطوفان بها والهلاك وهي قوله ﴿ ربِّ لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا﴾ أي لا تترك ولا تبق على الأرض اليابسة كلها يومئذ من الكافرين بخلاف المؤمنين ﴿ دياراً ﴾ [(١)] أي إنساناً يدور أي يذهب ويجيء أي لا تبق من الكافرين أحداً ثم علل لطالبه الهلاك للكافرين فقال ﴿إنك إن تذرهم [(٢)] يضلوا عبادك﴾ عن صراطك الموصل إلى رضاك وذلك هو عبادتك وحدك وطاعتك وطاعة رسولك ﴿ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً [(٣)]﴾ أي إلا من يفجر عن دينك ويكفر بك وبرسولك قال نوح هذا لطول التجارب التي عاشها مع قومه إذ عاشرهم قرابة عشرة قرون ثم دعا الله تعالى له ولوالديه ولمن دخل مسجده ومصلاه من المؤمنين والمؤمنات، وأن لا يزيد الظالمين إلا خسارا وهلاكاً فقال ﴿ربِّ اغفر لي ولوالدي [(٤)] ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين إلا تبارا [(٥)]﴾.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ـ هلاك قوم نوح كان بخطاياهم فالخطايا إذاً موجبة للهلاك.

٢ـ تقرير عذاب القبر فقوم نوح ما إن اغرقوا حتى ادخلوا نارا.

٣ـ مشروعية الدعاء على الظلمة والكافرين والمجرمين.

٤ـ مشروعية الدعاء للمؤمنين والمؤمنات.

٥ـ يستحب البدء في الدعاء بنفس الداعي ثم يعطف من يدعو لهم.

سُورَةُ الجِنّ

مكيـة وآياتها ثمان وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ [(٦)] اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا

---

(١) ديار: اسم مخصوص بالوقوع في النفي يعم كل إنسان وهو مشتق من اسم الدار.

(٢) إنك إن تذرهم: الجملة تعليلية.

(٣) يريد عند بلوغ الولد سن التكليف لا انه يفجر ويكفر بمجرد ما يولد وصيغة فعال للمبالغة في الموصوف بالكفر.

(٤) اسم أبيه لمك واسم امه شمخى بنت آنوس.

(٥) التبار: الهلاك والخسران.

(٦) قرأ نافع بكسر إن في كل ما ورد في سورة الجن ما عدا انه استمع نفر من الجن وأن المساجد لله ففتح أن وفتحها حفص إلا بعد القول وفإن له نار جهنم.

عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾
وَأَنَّهُۥ تَعَـٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَـٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ
يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ
وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ
مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ
ٱللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾

شرح الكلمات:

أنه استمع : أي إلى قراءتي.

نفر من الجن : أي عدد من الجن ما بين الثلاثة والعشرة.

قالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا: أي لبعضهم بعضاً قرآنا عجبا أي يتعجب منه لفصاحته وغزارة معانيه.

يهدي إلى الرشد : أي الصواب في المعتقد والقول والعمل.

وأنه تعالى جد ربنا : أي تنزه جلال ربنا وعظمته عما نسب إليه.

ما اتخذ صاحبة ولا ولدا : أي لم يتخذ صاحبة ولم يكن له ولد.

سفيهنا : أي جاهلنا.

شططا : أي غلوا في الكذب بوصفه الله تعالى بالصاحبة والولد.

على الله كذبا : حتى تبين لنا انهم يكذبون على الله بنسبة الزوجة والولد إليه.

يعوذون : أي يستعيذون.

فزادوهم رهقا : أي إثما وطغيانا.

أن لن يبعث الله احدا : أي لن يبعث رسولا إلى خلقه.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿قل أوحي[1] إليّ أنه استمع نفر[2] من الجن﴾ يأمر تعالى رسوله محمداً ﷺ أن يقول معلنا

(١) أصل أوحي ووحي فقلبت الواو همزة كما قلبت في وإذا الرسل اقتت والأصل وقتت، وهو جائز في كل واو مضمومة نحو ورخ وأرخ.

(٢) يرى ابن إسحق أن هذا اللقاء بالجن كان عند عودة النبي ﷺ من الطائف، ولا مانع من حصول الخبرين مرة عند عودته من الطائف وتكون هذه الأولى، والثانية هي المذكورة في التفسير.

للناس مؤمنهم وكافرهم أنه قد أوحى الله تعالى إليه نبأ مفاده أن نفرا من الجن ما بين الثلاثة إلى العشرة قد استمعوا إلى قراءته القرآن وذلك ببطن نخلة والرسول يصلي بأصحابه صلاة الفجر وكان الرسول ﷺ عامدا مع أصحابه إلى سوق عكاظ. وكان يومئذ قد حيل بين الشياطين وخبر السماء حيث أرسلت عليهم الشهب فراجع الشياطين بعضهم بعضا فانتهوا إلى أن شيئا حدث لامحالة فانطلقوا يضربون في مشارق الأرض ومغاربها يتعرفون إلى هذا الحدث الجلل الذي مُنِعـت الشياطين بسببه من السماء فتوجه نفر منهم إلى تهامة فوجدوا الرسول ﷺ يصلي الصبح بأصحابه فاستمعوا إلى قراءته في صلاته[1] فرجعوا إلى قومهم من الجن فقالوا ﴿إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا﴾ فأنزل الله تعالى هذه السورة «سورة الجن» مفتتحة بقوله ﴿قل أوحي إلى أنه استمع[2] نفر من الجن﴾ أي أعلن للناس يارسولنا أن الله قد أوحى إليك خبرا مفاده أن نفرا من الجن قد استمعوا إلى قراءتك فرجعوا إلى قومهم وقالوا لهم ﴿إنا سمعنـا قرآنا عجبا﴾ أي يتعجب من فصاحته وغزارة معانيه. يهدي إلى الرشد[3] والصواب في العقيدة والقول والعمل ﴿فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا﴾ وفي هذا تعريض بسخف البشر الذين عاش الرسول بينهم احدى عشرة سنة يقرأ عليهم القرآن بمكة وهم مكذبون به كارهون له مصرون على الشرك والجن بمجرد أن سمعوه آمنوا به وحملوا رسالته إلى قومهم وها هم يدعون بدعاية الاسلام ويقولون ﴿فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا وأنه تعالى جد[4] ربنا﴾ أي وآمنا بأنه تعالى أمر ربنا وسلطانه ما اتخذ صاحبة ولا ولدا وحاشاه وإنما نسب إليه ذلك المفترون. ﴿وأنه كان يقول سفيهنا على الله شططا﴾ هذا من قول الجن واصلوا حديثهم قائلين وأنه كان يقول جاهلونا على الله شططا أي غلوا في الكـذب بوصفهم الله تعالى بالصاحبة والولد تقليدا للمشركين واليهود والنصارى ﴿وأنا ظننا أن لن تقول الإنس والجن على الله كذبا﴾ أي وقالوا لقومهم وإنا كنا نظن أن الإنس والجن لايكذبون على الله ولا يقولون عليه إلا الصدق وقد علمنا الآن انهم يكذبون على الله ويقولون عليه ما لم يقله وينسبون إليه ماهو منه براء. وقالوا ﴿وأنه كان[5] رجال من الإنس

---

(١) ما ذكر في التفسير من شأن استماع الجن قراءة الرسول وما أوحى الله تعالى به إلى رسوله في شأن هذه الحادثة هو في مسلم والترمذي.

(٢) جملة استمع خبر إن والاسم هو ضمير الشأن والجملة في محل نائب فاعل لأوحي.

(٣) الرشد بضم الراء وإسكان الشين والرشد بفتح الراء والشين معاً هما الخير والصواب والهدى.

(٤) الجد بفتح الجيم: العظمة والجلال ومنه قول أنس كان الرجل إذا حفظ البقرة وآل عمران جدّ في عيوننا: أي عظم وجل وأنه تعالى: قرأ نافع بكسر الهمزة عطفاً على قولهم إنا سمعنا قرآنا وقرأ حفص بفتح الهمزة على تقدير آمنا بأنه تعالى جد ربنا.

(٥) يجوز فتح أنه وكسرها فمن فتحها جعلها من كلام الجن راداً لها إلى قوله انه استمع ومن كسرها جعلها مبتدأ في قول الله تعالى.

يعوذون برجال[1] من الجن فزادوهم رهقا﴾ يخبرون بخبر عجيب وهو أنه كان رجال من الناس من العرب وغيرهم إذا نزلوا منزلا مخوفا في واد أو شعب يستعيذون برجال من الجن كأن يقول الرجل أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه فزاد الإنس الجن بهذا اللجأ إليهم والاحتماء بهم رهقا[2] أي إثما وطغيانا. إذ ما كانوا يطمعون أن الإنس تعظمهم هذا التعظيم حتى تستجير بهم. وأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحدا أي وقالوا مخبرين قومهم وأنهم أي الإنس ظنوا كما ظننتم أنتم أيها الجن أن لن يبعث الله أحدا رسولا ينذر الناس عذاب الله ويعلمهم ما يكملهم ويسعدهم في الدنيا والآخرة.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- تقرير النبوة المحمدية وأن محمدا رسول للثقلين الإنس والجن معاً.

٢- بيان علو شأن القرآن وكماله حيث شهدت الجن له بأنه عجب فوق مستوى كلام الخلق.

٣- تقرير التوحيد والتنديد بالشرك.

٤- تقرير أن الإنس كالجن قد يكذبون على الله وما كان لهم ذلك.

٥- حرمة الاستعانة بالجن والاستعاذة بهم لأن ذلك كالعبادة لهم.

وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَـٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا
شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَـٰعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن
يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ
بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّـٰلِحُونَ
وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ
ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ
ءَامَنَّا بِهِۦ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾

---

(١) قال مقاتل أول من تعوذ بالجن قوم من اليمن من بني حنيفة ثم فشا في العرب فلما جاء الإسلام عاذوا بالله وتركوهم.

(٢) الرهق الخطيئة والإثم وغشيان المحارم، وباستعاذة الإنس بالجن يحصل الإثم والخطيئة.

وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ
تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾

شرح الكلمات:

وأنا لمسنا السماء : أي طلبنا خبرها كما جرت بذلك عادتنا.

حرساً شديداً : أي حراسا وحفظة من الملائكة يحفظونها بشدة وقوة.

وشهبا : أي نجوما يرمى بها الشياطين أو يؤخذ منها شهاب فيرمى به.

مقاعد للسمع : أي من أجل أن نسمع ما يحدث وما يكون في الكون.

شهابا رصداً : أي أرصد وأعد لرمي الشياطين وإبعادهم عن السمع.

رشدا : أي خيراً وصلاحاً.

كنا طرائق قددا : أي مذاهب مختلفة إذا الطرائق جمع طريقة. والقدد جمع قدة وهي الضروب والأجناس المختلفة.

ولن نعجزه هربا : أي لانفوته هاربين في الأرض أو في السماء

لما سمعنا الهدى : أي القرآن الداعي إلى الهدى المخالف للضلال.

بخسا ولا رهقا : أي نقصا من حسناته ولا إثما يحال عليه ويحاسب به.

ومنا القاسطون : أي الجائرون عن قصد السبيل وهو الإسلام.

تحروا رشدا : أي تعمدوا الرشد فطلبوه بعناية فحصلوا عليه.

فكانوا لجهنم حطبا : أي وقوداً تتقد بهم يوم القيامة.

معنى الآيات:

ما زال السياق الكريم في ما قالته الجن بعد سماعها القرآن الكريم. وهو ما أخبر تعالى به عنهم في قوله ﴿وأنّا لمسنا السماء﴾ أي طلبناها كعادتنا ﴿فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهبا[1]﴾ أي ملائكة أقوياء يحرسونها وشهبا نارية يرمى بها كل مسترق للسمع منا. وقالوا: ﴿وأنا كنا نقعد منها﴾ أي من السماء ﴿مقاعد﴾ أي أماكن معينة لهم ﴿للسمع[2]﴾ أي لأجل الاستماع من ملائكة

---

(١) الشهب جمع شهاب ككتاب وكتب وهو ما يؤخذ من الكواكب النارية فيرمى به الجن. والحرس جمع حارس ولم يقل شديدين نحو قولنا السلف الصالح بدل الصالحين. وجمع الحرس أحراس كسلف وأسلاف.

(٢) الذين كانوا يسترقون السمع هم مردة الجن وشياطينهم. ومما ينبغي أن يعلم هنا أن الجن هم أولاد الجان المخلوق من مارج من نار وأن الشياطين هم أولاد إبليس وأن من فسق عن أمر الله تعالى وتمرد على شرعه فخبث واشتد خبثه يصبح شيطاناً ويلحق بالشياطين الذين لا خير فيهم البتة.

السمـاء. ﴿فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصدا﴾ أي أرصد له خاصة فيرمى به فيحرقه أو يخبله، وقالوا ﴿وانا لاندري أشرٌ أريد بمن في الارض أم أراد بهم ربهم رشدا﴾ أقول عجبا لهؤلاء المؤمنين من الجن كيف تأدّبوا مع الله فلم ينسبوا إليه الشر ونسبوا إليه الخير فقالوا ﴿أشر أريد بمن في الأرض﴾ ولو أساءوا الأدب مثلنا لقالوا أشر أراده الله بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا أي خيرا وصلاحا قالوا هذا لما وجدوا السماء قد ملئت حرسا شديدا وشهبا وهو تفكير سديد ناتج عن وعي وإدراك سليم. وهذا التغير في السماء الذي وجدوه سببه أن الله تعالى لما نبأ رسوله محمداً ﷺ وأخذ يوحي إليه حمى السماء حتى لا يسترق الشياطين السمع ويشوشوا على الناس فيصرفوهم عن الإيمان والدخول في الإسلام وهو الرشد الذي أراد الله لعباده وقالوا ﴿وإنا منا الصالحون﴾ أي المؤمنون المستقيمون على الإيمان والطاعة ﴿ومنّا دون ذلك﴾ ضعف إيمان وقلة طاعة، ﴿كنّا طرائق قددا﴾ أي مذاهب[1] واهواء مختلفة. ﴿وإنا ظننا أن لن نعجز الله في الأرض﴾ أي إن أراد بنا سوءا ومكروها ولن نعجزه هربا إن طلبنا في الأرض أو في السماء. ﴿ وإنا لما سمعنا الهدى آمنا به ﴾ أي بالقرآن الذي هو هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ﴿ فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ﴾ أي نقصا من حسناته يوم القيامة ﴿ولا رهقا﴾ أي إثما يضاف إلى سيئاته ويعاقب به وهو لم يرتكبه في الدنيا. وقالوا﴿ وإنا منّا المسلمون ومنّا القاسطون﴾ أي الجائرون عن قصد السبيل وهو الإسلام. فمن أسلم أي انقاد لله تعالى بطاعته وخلص من الشرك به فهؤلاء تحروا الرشد[2] وفازوا به، ﴿وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا﴾ توقد بهم وتستعر عليهم وعلى الكافرين الجائرين أمثالهم.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ وجود تجانس بين الجن والملائكة لقرب مادّتي الخلق من بعضها إذ الملائكة خلقوا من مادة النور، والجن من مادة النار، ولذا يرونهم ويسمعون كلامهم ويفهمونه.

٢ـ من الجن أدباء صالحون مؤمنون مسلمون أصحاب لرسول الله ﷺ.

٣ـ ذم الطرق والأهواء والاختلافات.

٤ـ الاشادة بالعدل وتحري الحق والخير.

---

(١) كان منهم اليهودي والنصراني والمجوسي، ولما جاء الإسلام أصبح منهم المسلم وأصبح من المسلمين قدرية ومرجئة وخوارج ورافضة وشيعة لأنهم تابعون للناس في معتقداتهم وأقوالهم وأعمالهم.

(٢) تحروا رشدا أي قصدوا طريق الحق وتوخوه، ومنه تحري القبله للصلاة. أي طلبها بعناية وقصد للحصول عليها.

وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ
فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ وَأَنَّ
ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ
يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ
بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى
لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا
مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ
خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ
مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾

شرح الكلمات :

على الطريقة : أي الإسلام.

ماء غدقا : أي مالا كثيرا وخيرات كبيرة .

لنفتنهم فيه : أي نختبرهم أيشكرون أم يكفرون .

عن ذكر ربه : أي القرآن وشرائعه وأحكامه .

عذابا صعدا : أي شاقا .

فلا تدعوا : أي فيها مع الله أحدا .

عبدالله يدعوه : أي محمد ﷺ يدعو الله ببطن نخلة .

عليه لبدا : أي في ركوب بعضهم بعضا تزاحما لأجل أن يسمعوا قراءته .

ضرا ولا رشدا : أي غيا ولا خيرا .

ملتحدا : أي ملتجأ ألجأ إليه فأحفظ نفسي .

أي بلاغا : أي لا أملك إلا البلاغ إليكم .

وأقل عددا : أي أعوانا المسلمون أم الكافرون .

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿وأن لو استقاموا على الطريقة﴾ أي وأوحى إليّ أن لو استقام هؤلاء المشركون من كفـار قريش استقـامـوا على الإيمـان والتـوحيد والـطاعة لله ولرسوله ـ وهم يشكون القحط ـ ﴿لأسقيناهم ماء غدقا﴾[1] فتكثر أموالهم وتتسع أرزاقهم، ﴿لنفتنهم فيه﴾ أي لنختبرهم في ذلك الخير الكثير أيشكرون أم يكفرون؟ ثم إن شكروا زادهم، وإن كفروا سلبهم وعذبهم. وقوله تعالى ﴿ومن يعرض عن ذكر ربّه﴾ أي القرآن وما يدعو إليه من الإيمان وصالح الأعمال ولم يتخلَّ عن الشرك وسوء الأفعال ﴿نسلكه عذابا صعدا﴾[2] أي نُدخله في عذاب شاق في الدنيا بالذل والمهـانـة والفقـر والرذالة والنذالة. وفي الآخرة في جهنم حيث السموم والحميم، والضريع والزقوم. وقوله ﴿وأن المساجد[3] لله فلا تدعو مع الله أحدا﴾ أي ومما أوحي إليّ أن المساجد لله فإذا دخلتموها للعبادة فلا تدعو فيها مع الله أحدا إذ كيف البيت له وأنت فيه وتدعو معه غيره زيادة على أن الشرك محرم وصاحبه في النار فإنه من غير الأدب أن يكون المرء في بيت كريم ويدعو معه غيره من فقراء الخلق أو أغنيائهم وقوله ﴿وأنه لما قام عبدالله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا﴾ أي وأوحي إليّ أنه لما قام عبدالله ورسوله محمد ﷺ يدعو ربّه في الصلاة ببطن نخلة كاد الجن أن يكونوا عليه لبدا أي[4] كالشيء المتلبد بعضه فوق بعض. وقوله ﴿قل إنما أدعو ربي ولا أشرك به أحدا﴾ هذا إجابة لقريش عندما قالوا له ﷺ لقد جئت بأمر عظيم وقد عاديت الناس كلهم فارجع عن هذا فنحن نجيرك أي نحفظك فأُمر أن يقول لهم إنما أدعو ربي أي أعبده إلهاً واحداً ولا أشرك به أحدا. وأن يقول أيضا إني لا أملك لكم يا معشر قريش الكافرين ضرا ولا رشدا أي ضلالا ولا هداية انما ذلك لله وحده يضل من يشاء ويهدي من يشاء وأمر أن يقول لهم أيضا إني لن يجيرني من الله أحدٌ إن أنا عصيته وأطعتكم، ولن أجد من دونه أي من غيره ملتحدا[5] أي ملتجأ التجأ إليه. وقوله إلا بلاغاً من الله ورسالاته أي لا أملك لكم ضراً ولا رشداً إلا بلاغا من الله

---

(١) غدقاً أي واسعاً كبيراً، يقال غدقت العين تغدق فهي غدقة إذا كثر ماؤها. وهذا الوعد الإلهي المشروط هو عام في الناس أجمعين وفي كل زمان ومكان وهو كقوله. ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولما استقام السلف الصالح حصل لهم هذا الموعود كاملا.

(٢) روى عن ابن عباس أن العذاب الصعد جبل في جهنم يكلفون صعوده وكلما وضعوا أيديهم عليه ذابت. وهو ضرب من أنواع العذاب في دار الشقاء.

(٣) جائز أن يكون المراد بالمساجد اعضاء السجود السبعة لحديث إذا سجد العبد سجد معه سبعة آراب أي اعضاء ويقوى هذا الجواز قول عطاء: مساجدك أعضاؤك التي أمرت أن تسجد عليها فلا تذللها لغير خالقها. وما في التفسير أولى بالآية.

(٤) اللبد جمع لبدة بكسر اللام وسكون الباء كقربة وقرب وهي ما تلبد بعضه على بعض ومنه لبدة الأسد وهي الشعر المتراكم في رقبته.

(٥) شاهده قول الشاعر:

يا لهف نفسي ولهفي غير مجدية عني وما من قضاء الله ملتحد

ورسالته فإني أبلغكم عنه ما أمرني به وأرشدكم إلى ما أرسلني به من الهدى والخير والفوز وقوله ﴿ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدا﴾ أي يخبر تعالى موعداً أن من يعصي الله بالشرك به وبرسوله بتكذيبه وعدم اتباعه فيما جاء به فإن له جزاء شركه وعصيانه نار جهنم خالدين فيها أبدا. وقوله ﴿حتى إذا رأوا ما يوعدون فسيعلمون من أضعف ناصرا وأقل عددا﴾ أي فإن استمروا على شركهم وتكذيبهم حتى إذا رأوا ما يوعدون من عذاب يوم القيامة فسيعلمون عندئذ من أضعف ناصراً أي من ناصره ضعيف أو قوي، ومن أقل عدداً من أعوانه المؤمنون محمد وأصحابه أم هم المشركون المكذبون.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- الاستقامة على منهج الله تعالى القائم على الإيمان والطاعة لله ورسوله يفضي بسالكه إلى الخير الكثير والسعادة الكاملة في الدنيا والآخرة.

٢- المال فتنة وقل من ينجح فيها قال عمر رضي الله عنه أينما يكون الماء يكون المال وأينما يكون المال تكون الفتنة.

٣- حرمة دعاء غير الله في المساجد وفي غيرها إلا انها في المساجد أشد قبحا.

٤- الخير والغير والهدى والضلال لا يملكها إلا الله فليطلب ذلك منه لا من غيره.

٥- معصية الله والرسول موجبة لعذاب الدنيا والآخرة.

قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ
مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا
يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ
يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟
رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾

شرح الكلمات:

قل إن أدري : أي قل ما أدري.

ماتوعدون : أي من العذاب.

أمدا : أي غاية وأجلا لا يعلمه إلا هو.

فلا يظهر : أي لا يطلع.

من ارتضى من رسول : أي فإنه يطلعه.

رصدا : أي ملائكة يحفظونه حتى يبلغه مع الوحي الذي يبلغه لكافة الناس.

ليعلم : أي الله عِلمَ ظهور أن الرسل قد بلغوا رسالات ربهم.

أحصى كل شيء عددا : أي أحصى عدد كل شيء.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿قل إن أدري﴾ أمر تعالى رسوله أن يقول للمشركين المطالبين بالعذاب استخفافا وعناداً وتكذيباً أمره أن يقول لهم ما أدري أقريب ما وعدكم ربكم به من العذاب بحيث يحل بكم عاجلا أم يجعل له ربي[1] أمدا أي غاية وأجلا بعيدا يعلمه هو ولايعلمه غيره. عالم الغيب[2] إذ هو عالم الغيب[3] وحده فلا يظهر علي غيبه أي لا يطلع على غيبه احدا من عباده إلا من ارتضى من رسول أي رضيه أن يبلغ عنه فإنه يطلعه مع الاحتياط الكافي حتى لا يتسرب الخبر الغيب إلى النـاس ﴿فإنه يسلك[4] من بين يديه﴾ الرسول المرتضىٰ ومن خلفه رصداً من الملائكة ثم يطلعه ضمن الوحي الذي يوحي إليه. وذلك ليعلم الرسول[5] ﷺ أن الرسل قبله قد بلغت رسالات ربها لما أحاطها تعالى به من العناية حتى انه إذا جاءه الوحي كان معه أربعة ملائكة يحمونه من الشياطين حتى لا يسمعوا خبر السماء فيبلغوه أولياءهم من الإنس، فتكون فتنة في الناس وقوله ﴿وأحاط﴾

---

(١) قرأ نافع ربي بفتح الياء، وقرأ حفص ربي بإسكان الياء ممدودة.

(٢) عالِمُ نعت لربي. والغيب: ما غاب عن العبـادة، ومعنى عالم الغيب أي العليم بكل ما هو غائب عن أعين الناس كالملائكة والجن وما سيحدث من أحداث في الكون.

(٣) قالت العلماء لما تمدح الله تعالى بعلم الغيب واستأثر به دون خلقه كان فيه دليل على انه لايعلم الغيب أحد سواه، ثم استثنى من ارتضاه من الرسل فأودعهم ماشاء من غيبه بطريق الوحي إليهم، وجعله معجزة لهم ودلالة صادقة على نبوتهم وليس المنجم ومن ضاهاه ممن يضرب بالحصى وينظر في الكتب ويزجر بالطير ممن ارتضاه من رسول يطلعه على ما يشاء من غيبه بل هو كافر بالله مفتر عليه لحدسه وتخمينه وكذبه.

(٤) فإنه يسلك الخ يعني ملائكة يحفظونه من أن يقرب منه شيطان في صورة الملك فيحفظ الوحي من استراق الشيطان والإلقاء إلى الكهنة.

(٥) معنى الآية: ليعلم أي محمد ﷺ أن الرسل قبله قد أبلغوا الرسالة كما أبلغ هو الرسالة. وفي الكلام حذف تقديره أخبرناه بحفظنا الوحي ليعلم أن الرسل قبله كانوا على مثل حالته من التبليغ.

أي الله جل جلاله ﴿بما لديهم﴾ أي بما لدى الملائكة والرسل علما ﴿ وأحصى كل شيء عددا﴾[1] أي وأحصى عدد كل شيء فلا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم.

هداية الآات:

من هداية الآيات:

١- استئثار الله تعالى بعلم الغيب فلا يعلم الغيب إلا الله.

٢- قد يطلع الله تعالى من ارتضى أن يطلعه من الرسل على غيب خاص ويتم ذلك بعد حماية كاملة من الشياطين كيلا ينقلوه إلى أوليائهم فيفتنوا به الناس.

٣- بيان إحاطة علم الله بكل شيء واحصائه تعالى لكل شيء عدًا.

سُورَةُ المُزَّمِّلِ

أولها مكيّ وآخرها مدنيّ[2] وآياتها عشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا
﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا
ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِى
ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾
رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾

شرح الكلمات:

يا أيها المزمل : أي المتلفف بثيابه أي النبي ﷺ.

قم الليل : أي صل.

إلا قليلا : أي نصف الليل.

نصفه أو انقص منه قليلا : أي انقص من النصف إلى الثلث.

أو زد عليه : أي إلى الثلثين فأنت مخير في أيها تفعل تقبل.

---

(١) عدداً منصوب على الحال أو على المصدر أي أحصى وعد كل شيء عددا.

(٢) آخرها هو قوله إن ربك يعلم أنك تقوم إلى آخر آية منه.

ورتل القرآن ترتيلا	: أي ترسل في قراءته وبيّنه تبييناً.
إنا سنلقي عليك قولا	: أي قرآنا.
ثقيلا	: أي محمله ثقيلا العمل به لما يحوى من التكاليف.
إن ناشئة الليل	: أي ساعة الليل من صلاة العشاء فما فوق كل ساعة تُسمى ناشئة.
هي أشد وطئا	: أي هي أقوى موافقة السمع للقلب على تفهم القرآن فيها.
وأقوم قيلا	: أي أبين قولا وأصوب قراءة من قراءة النهار لسكون الأصوات.
واذكر اسم ربك	: أي دم على ذكره ليلا ونهارا على أي وجه من تسبيح وتهليل وتحميد.
وتبتل إليه تبتيلا	: أي انقطع إليه في العبادة وفي طلب الحاجة وفي كل ما يهمك.
لا إله إلا هو	: أي لا معبود بحق سواه ولا تنبغي العبادة لغيره.
فاتخذه وكيلا	: أي فوض جميع أمورك إليه فإنه يكفيك.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿يا أيها المزمل﴾(١) نادى الربّ تبارك وتعالى نبيّه محمداً ﷺ مذكّرا إياه بتلك الساعة السعيدة التي فاجأه فيها الوحي لأول مرة فرجع بها ترجف بوادره فانتهى إلى خديجة وهو يقول زملوني دثروني فالمزمل(٢) هو المتزمل أي المتلفف في ثيابه ليقول له قم الليل(٣) إلا قليلا أي صل في الليل ﴿نصفه أو انقص منه قليلاً﴾ إلى الثلث ﴿أو زد عليه﴾ أي على النصف إلى الثلثين وامتثل الرسول أمر ربّه فقام مع أصحابه حتى تورمت أقدامهم. ثم خفف الله تعالى عنهم ونزل آخر هذه السورة بالرخصة في ترك القيام الواجب وبقى الندب والاستحباب وقوله تعالى ﴿ورتل القرآن ترتيلا﴾(٥) يرشده ربّه إلى أحسن التلاوة وهي الترسل وعدم السرعة حتى يبيّن الكلمات تبييناً ويترقى القلب في معانيها. وقوله ﴿إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا﴾(٦) يخبره ربّه تعالى بأنه سيلقي عليه قولا ثقيلا هو

(١) في هذا النداء بهذه الصفة معنى التلطف والتحبب كقوله ﷺ لعلي قم أبا تراب ولعبد الرحمن بن صخر أبا هريرة، ولحذيفة بن اليمان يوم الخندق قم يا نومان.

(٢) المزمل اسم فاعل والمدثر كذلك من تزمل وتدثر والأصل المتزمل والمتدثر.

(٣) كان هذا القيام قبل فرض الصلوات الخمس واستمر بعد فرضها واجباً على النبي ﷺ دون أمته.

(٤) الجمهور يقرأ أو انقص بضم الواو للتخلص من التقاء الساكنين، وبعضهم بكسرها أو انقص.

(٥) جائز أن يكون الترتيل المأمور به في الصلاة وقيام الليل وفي غيره ذلك من تلاوة القرآن الكريم والترتيل مأخوذ من قولهم ثغر مرتل وهو المفلج الأسنان أي المفرق بينهما فالترتيل هو تفرقة الحروف وعدم جمعها بحيث يخرج كل حرف من مخرجه يفسره قول عائشة رضي الله عنها. في وصف الترتيل لو أراد السامع أن يعد الحروف لعدها لا كسردكم هذا.

(٦) هذه الجملة مستأنفة معترضة بين قوله قم الليل وبين قوله إن ناشئة الليل لمّا كلفه بقيام الليل وكان شاقاً أعلمه بأنه هيأه لما هو أشق من قيام الليل وهو حمل الرسالة وإبلاغها.

القرآن فإنه ثقيل مهيب ذو تكاليف العمل بها ثقيل إنها فرائض وواجبات أعلمه ليوطن نفسه على العمل ويهيئها لحمل الشريعة علما وعملا ودعوة. وقوله ﴿إن ناشئة الليل[1] هي أشد وطئا وأقوم قيلا﴾ يخبر تعالى مُعلما أن ساعات الليل من بعد صلاة العشاء إلى آخر الليل القيام فيها يجعل السمع يواطيء القلب على فهم معاني القرآن الذي يقرأه المصلي، وقوله وأقوم قيلا أي أبين قولا وأصوب قراءة من قراءة الصلاة في النهار. وقوله ﴿إن لك في[2] النهار سبحا طويلا﴾ يخبر تعالى رسوله بأن له في النهار أعمالاً تشغله عن قراءة القرآن فلذا أرشده إلى قيام الليل وترتيل القرآن لتفرغه من عمل النهار وقوله ﴿واذكر اسم ربك﴾ أي داوم على ذكره ليلا ونهارا على أي وجه كان الذكر من تسبيح وتحميد وتكبير وتهليل. وقوله ﴿وتبتل إليه﴾ أي إلى الله ﴿تبتيلا﴾ أي انقطع إليه في العبادة إخلاصا له وفي طلب حوائجك، وفي كل ما يهمك من أمر دينك ودنياك وقوله ﴿ربّ المشرق والمغرب﴾ أي هو تعالى ربّ المشرق والمغرب أي مالك المشرقين والمغربين ﴿لا إله إلا هو﴾ فلا تنبغي العبادة إلا له ولا تصح الألوهية إلاّ له أيضاً وقوله ﴿فاتخذه وكيلا﴾ أي من كل ما يهمك فإنه يكفيك وهو على كل شيء قدير.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- الندب إلى قيام الليل وأنه دأب الصالحين وطريق المتقربين.

٢- الندب إلى ترتيل القرآن وترك العجلة في تلاوته.

٣- صلاة الليل أفضل من صلاة النهار لتواطىء السمع والقلب فيها على فهم القرآن.

٤- الندب إلى ذكر الله تعالى بأي وجه من صلاة وتسبيح وطلب علم ودعاء وغير ذلك.

وَٱصْبِرْ
عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾ وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ
أُو۟لِى ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾
وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ

---

(١) الجملة تعليلية للأمر بقيام الليل وترتيل القرآن كأنه قال له قم الليل لأن ناشئته التي تنشئها بعد النوم هي أشد مواطأة أي موافقة بين السمع والقلب لتفهم القرآن وأبين للقرآن عند النطق به.

(٢) إن لك في النهار الجملة تعليلية لاختيار الليل للقيام دون النهار لأن في النهار أعمالاً أخرى يقوم بها المرء وجائز أن يراد أن في النهار متسع للصلاة وتلاوة القرآن.

وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا
عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ
فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ
ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ۚ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾
إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾

شرح الكلمات :

واصبر على ما يقولون : أي على ما يقوله لك كفار مكة من أذى كقولهم شاعر وساحر وكاذب .

واهجرهم هجرا جميلا : أي اتركهم تركا جميلا أي لا عتاب معه .

وذرني : أي اتركني .

والمكذبين : أي صناديد قريش فإني أكفكهم .

أولي النعمة : أي أهل التنعم والترف .

ومهلهم قليلا : أي انتظرهم قليلا من الزمن حتى يهلكوا ببدر .

إن لدينا انكالا : أي قيودا وهي جمع نِكل وهو القيد من حديد .

وطعاما ذا غصة : أي يغص في الحلق هو الزقوم والضريع .

يوم ترجف الأرض : أي تتزلزل .

كثيباً مهيلا : أي رملا مجتمعا مهيلا أي سائلا بعد اجتماعه .

فأخذناه أخذا وبيلا : أي ثقيلا شديدا غليظا .

فكيف تتقون يوما : أي عذاب يوم يجعل الولدان لشدة هوله شيبا .

السماء منفطر به : أي ذات انفطار وانشقاق أي بسبب هول ذلك اليوم .

كان وعده مفعولا : أي وعده تعالى بمجيء ذلك اليوم كان مفعولا أي كائنا لا محالة .

إن هذه تذكرة : أي ان هذه الآيات المخوفة تذكرة أي عظة للناس .

اتخذ إلى ربّه سبيلا : أي طريقا بالإيمان والطاعة إلى النجاة من النار ودخول الجنة .

معنى الآيات:

ما زال السياق الكريم في تربية الرسول ﷺ وامته بأنواع التربية الربانية الخاصة فقال تعالى لرسوله ﴿واصبر[1] على ما يقولون﴾ أي كفار قريش من كلام يؤذونك به كقولهم هو ساحر وشاعر وكاهن ومجنون وما إلى ذلك، وقوله ﴿واهجرهم هجرا جميلا﴾ يرشد تعالى رسوله إلى هجران كفار قريش وعدم التعرض لهم والهجر الجميل[2] هو الذي لاعتاب معه وقوله ﴿وذرني والمكذبين أولي النعمة﴾ أي اتركني والمكذبين من صناديد[3] قريش أولي النعمة أي النعم والترف ﴿ومهلهم قليلا﴾ أي انظرهم ولا تستعجل فإني كافيكهم، ولم يمض إلا زمن يسير حتى هلكوا في بدر على أيدي المؤمنين. وقوله تعالى ﴿إن لدينا أنكالا وجحيما وطعاما﴾ أي عندنا للمكذبين بك في الأخرة أنكالا قيودا من حديد وجحيما أي نارا مستعرة محرقة وعذابا أليما أي موجعا وطعاما هو الزقوم والضريع ذا غصة أي يغصّ في حلق آكله، وعذابا أليما أي موجعاً وذلك يحصل لأهله وينالهم يوم ترجف الأرض والجبال، أي تتحرك وتضطرب وكانت الجبال كثيبا أي من الرمل مهيلا سائلا بعد اجتماعه. وقوله تعالى ﴿إنا أرسلنا إليكم﴾ أي يا أهل مكة وكل من ورائها من سائر الناس والجن ﴿رسولا شاهدا عليكم﴾ بما تعملون في الدنيا لتجزوا بها في الأخرة وقوله ﴿كما[4] أرسلنا إلى فرعون رسولا﴾ أي موسى بن عمران عليه السلام ﴿فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذا وبيلا﴾ أي غليظا شديدا. وقوله تعالى مخاطبا الكفارين المكذبين ﴿فكيف تتقون يوما﴾ أي عذاب يوم ﴿يجعل الولدان شيبا﴾ وذلك لهوله وللكرب الذي يقع وحسبه أن السماء منفطر[5] به أي منشقة بسبب أهواله. وذلك يوم يقول الرب تعالى لآدم يا آدم ابعث بعث النار أي خذ من كل ألف من أهل الموقف تسعمائة وتسعة وتسعين إلى النار ولم ينج من كل ألف إلا واحد هنا يشتد البلاء ويعظم الكرب. وقوله ﴿كان وعده مفعولا﴾ أي وعده تعالى بمجيء هذا اليوم كان مفعولا أي كائنا لا محالة وقوله ﴿إن هذه تذكرة﴾ أي إن هذه الآيات المشتملة على ذكر القيامة وأهوالها تذكرة وعظة وعبرة ﴿لمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا﴾ فليتخذها وهي الإيمان والعمل الصالح بعد التخلي عن الشرك والمعاصي.

(١) لما أمره بالانقطاع إليه بالعبادة أمره بالصبر على ما يقوله خصومه من كفار قريش من طعن فيه وفي اتباعه وفيما جاء به أيضاً من الهدى والنور.

(٢) الهجر الجميل هو الذي يكتفى فيه بحقيقة الهجران وهي المقاطعة لا غير فليس هناك أذى معها والصبر الجميل هو الذي لا جزع فيه والجهر الجميل الذي لا عتاب معه والصفح الجميل هو الذي لا مؤاخذة معه.

(٣) قال مقاتل نزلت في المطعمين يوم بدر وهم عشرة. قالت عائشة رضي الله عنها لما نزلت هذه الآية لم يكن (يسير) حتى وقعت وقعة بدر.

(٤) الكلام مستأنف ابتدائي والمناسبة هي التخلص من الأمر بالصبر إلى ذكر وعيد القوم وذكر فرعون بالذات لأنه أهلكه غروره وتكبره كما هي حالة أكابر مجرمي مكة، فسوف يحل بهم ما حل بفرعون من الهلاك.

(٥) لم يقل منفطرة بالهاء لأن السماء يذكر ويؤنث أو هو كقولهم امرأة مرضع أي ذات إرضاع، والسماء ذات انفطار.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ـ وجوبَ الصبر على الطاعة وعن المعصيّة .

٢ـ الهجر الجميل هو الذي لا عتاب فيه .

٣ـ تقرير النبوة المحمدية .

٤ـ تقرير البعث والجزاء

۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ
مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ
عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ
وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ
يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟
ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ
عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿٢٠﴾

شرح الكلمات :

أنك تقوم	: أي للتهجد .
أدنى	: أي أقل .
وطائفة	: أي وطائفة معك من أصحابك تقوم كذلك .
والله يقدر الليل والنهار	: أي يحصيها ويعلم ما يمضي من ساعات كل منهما وما يبقى .
علم أن لن تحصوه	: أي الليل فلا تطيقون قيامه كله لأنه يشقّ عليكم .
فتاب عليكم	: أي رجع بكم إلى التخفيف في قيام الليل إذ هو الأصل .
فاقرأوا ما تيسر	: أي صلوا من الليل ما سهل عليكم ولو ركعتين.
وأقيموا الصلاة	: أي المفروضة .
وآتوا الزكاة	: أي المفروضة .

وأقرضوا الله قرضاً حسنا : أي تصدقوا بفضول أموالكم طيبة بها نفوسكم فذلك القرض الحسن.

وما تقدموا لأنفسكم من خير : أي من نوافل العبادة من صلاة وصدقة وصيام وحج وغيرها.

معنى الآيات:

يخبر تعالى رسوله بأنه يعلم ما يقومه من الليل هو وطائفة من أصحابه وأنهم يقومون أحياناً أدنى من ثلثي الليل أي أقل ويقومون أحيانا النصف والثلث، كما في أول السورة هذا معنى قوله تعالى ﴿إن[1] ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك﴾، وقوله ﴿والله يقدر الليل والنهار﴾ أي يحصي ساعاتهما فيعلم ما مضى من الليل وما بقى من ساعاته، وقوله ﴿علم أن لن تحصوه[2]﴾ أي لن تطيقوا ضبط ساعاته فيشق عليكم قيام أكثره تحريا منكم لما هو المطلوب. ﴿فتاب عليكم﴾ لذلك وبهذا نسخ قيام الليل الواجب وبقى المستحب يُؤدى ولو بركعتين في أي جزء من الليل وكونهما بعد صلاة العشاء أفضل وقوله تعالى فاقرأوا[3] ما تيسر من القرآن أي صلوا من الليل ما تيسر اطلق لفظ القرآن وهو يريد الصلاة لأن القرآن هـو الجزء المقصـود من صلاة الليل، ، وقـولـه ﴿علم أن سيكـون منكم مرضى وآخـرون يضـربـون في الأرض يبتغـون من فضـل الله وآخـرون يقـاتلون في سبيل الله﴾ فذكر فيه تعالى ثلاثة أعذار لهم وهي المرض،والضرب في الأرض للتجارة[4] والجهاد في سبيل الله وكلها يشق معها قيام الليل فرحمة بالمؤمنين نسخ الله تعالى هذا الحكم الشاق بقوله ﴿فاقرأوا ماتيسر منه[5]﴾، كرره تأكيدا لنسخ قيام الليل الذي كان واجبا وأصبح بهذه الآية مندوبا. وقوله وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة أي المفروضتين. وقوله وأقرضوا الله قرضا حسنا أي انفقوا في سبيل الله الذي هو الجهاد فإن الحسنة فيه بسبعمائة وما تقدموا لأنفسكم من نوافل الصلاة والصدقات والحج وسائر العبادات تجدوه عند الله يوم القيامة هو خيراً وأعظم أجرا. وقوله واستغفروا الله من كل ما يفرط منكم من تقصير في جنب الله تعالى إن الله غفور رحيم يغفر لمن تاب ويرحمه فلا يؤاخذه بذنب قد تاب منه.

(١) هذا هو النصف الأخير من سورة المزمل االذي نزل بالمدينة أما النصف الأول فقد نزل بمكة. . افتتاح الكلام بهذه الجملة إن ربك يعلم. . الخ مشعر بالثناء عليه لوفائه بحق القيام الذي أمر به في أول السورة.

(٢) هذه الجملة هي المقصودة من الكلام السابق لها إذ كان تمهيداً لها.

(٣) أطلق القرآن وأراد الصلاة كقوله قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فأطلق الصلاة وأراد القراءة وهنا أطلق القراءة وأراد الصلاة تجوزاً.

(٤) قال طاووس: الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله.

(٥) من هذه الآية أخذ مالك وأحمد والشافعي أن أقل ما يجزء في الصلاة قراءة الفاتحة كاملة، ولا تصح صلاة بدونها للأحاديث الواردة في ذلك وهذا بالنسبة للأمام والمنفرد. وهذا عند القدرة على قراءتها وحفظها فإن عجز سبح وركع أي قال سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله اكبر.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ـ بيان ما كان الرسول ﷺ وأصحابه يقومونه من الليل تهجدا .

٢ـ نسخ واجب قيام الليل وبقاء استحبابه وندبه .[(١)]

٣ـ وجوب إقام الصلاة وإيتاء الزكاة .

٤ـ الترغيب في التطوع من سائر العبادات .

٥ـ وجوب الاستغفار عند الذنب وندبه واستحبابه في سائر الأوقات لما يحصل من التقصير .

سورة المدثر

مكية وآياتها ست وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ[(٢)] (١) قُمْ فَأَنذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤)
وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥) وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ (٦) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ (٧)
فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ (٨) فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ (٩) عَلَى الْكَافِرِينَ
غَيْرُ يَسِيرٍ (١٠)

شرح الكلمات :

يا أيها المدثر : أي يا أيها المدثر أي المُتلفف في ثيابه وهو النبي ﷺ .

قم فأنذر : أي خَوف أهل مكة النار إن لم يؤمنوا ويوحدوا .

وربك فكبر : أي عظم ربك من إشراك المشركين .

وثيابك فطهر : أي طهر ثيابك من النجاسات .

والرجز فاهجر : أي أدم هجرانك للأوثان .

---

(١) ورد في فضل قيام الليل أحاديث صحاح كثيرة منها قول عبدالله بن عمرو قال لي رسول الله ﷺ يا عبدالله لا تكن كفلان كان يقوم الليل فترك قيام الليل وحديث عبدالله بن عمر وفيه قال رسول الله ﷺ نعم الرجل عبدالله لو كان يصلي من الليل .

(٢) في هذا النداء ملاطفة في الخطاب من الكريم إلى الحبيب إذ ناداه بحالـه ، وعبر عنه بصفته ، ولم يقل يا محمد أو يا فلان ليستشعر اللين والعطف من ربه .

ولا تمنن تستكثر : أي لا تمنن على ربك ما تقوم به من أعمال لأجله طاعة له.

فإذا نقر في الناقور : أي نفخ في الصور النفخة الثانية.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿يا أيها المدثر﴾[1] أي المتلفف في ثيابه والمراد به النبي ﷺ روى الزهري[2] قال فتر الوحي عن رسول الله ﷺ فترة فحزن حزناً فجعل يعدو شواهق رؤوس الجبال ليتردّى منها فكلما أوفى بذروة جبل تبدّى له جبريل عليه السلام فيقول إنك نبيّ الله فيسكن جأشه وتسكن نفسه، فكان النبي ﷺ يحدث عن ذلك فقال بينما أنا أمشي يوما إذ رأيت الملك الذي كان يأتيني بحراء على كرسيّ بين السماء والأرض فجئثت منه رعبا فرجعت إلى خديجة فقلت زملوني فزملناه أي فدثرناه فأنزل الله يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر قال الزهري فأول شيء انزل عليه أقرأ باسم ربّك الذي خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم. وعليه فهذا النداء الإلهي كان بعد فترة الوحي الأولى ناداه ملقبا له بهذا اللقب الجميل تكريما وتلطفا معه ليقوم بأعباء الدعوة وما أشد ثقلها، ومن يقدر عليها إنها أعباء ثقيلة اللهم لقد أعنت عليها رسولك فأعني على قدر ما أقوم به منها، وإن كان ما أقوم به منها لا يساوي جمرة من لظى ولا قطرة من ماء السماء. يا أيها المدثر في ثيابه يا محمد رسولنا قم فأنذر لم يبق لك مجال للنوم والراحة فأنذر قومك في مكة وكل الثقلين من وراء مكة أنذرهم عذاب النار المترتب على الكفر والشرك بالواحد القهار وربك فكبر أي وربّك فعظمه تعظيماً يليق بجلاله وكماله فإنه الأكبر الذي لا أكبر منه والعظيم الذي لا أعظم منه فأعلن عن ذلك بلسانك قائلا الله أكبر وبحالك فلا تذل إلا له ولا ترغب إلا فيه وكبره بأعمالك فلا تأت منها إلاّ ما أذن لك فيه أو أمرك به ﴿وثيابك فطهر﴾ أي طهر ثيابك من النجاسات مخالفاً بذلك ما عليه قومك؛ إذ يجرون ثيابهم ولا يتنزهون من أبوالهم ﴿والرجز فاهجر﴾ أي والأصنام التي يعبدها قومك فاهجرها فلا تقربها ودُم على هجرانها على دعوتك أجرا، ولا تمنن عطاء أعطيته لغيرك تستكثر به ما عندك إن ذاك مناف لأجمل الأخلاق وكريم السجايا وسامي الآداب. ولربك وحده دون سواه فاصبر على كل ما تلقاه في سبيل إبلاغ رسالتك ونشر دعوتك دعوة الخير والكمال هذا الذي أدب به الله رسول الله في فاتحة دعوته. ثم نزل بعد فإذا نقر في الناقوروالناقور البوق الذي ينفخ فيه اسرافيل والنقر يُحدث صوتا

---

(١) هذا يسمى بهدية الثواب وهي جائزة للأمة محرمة عليه ﷺ بهذه الآية. ولا تمنن تستكثر.

(٢) روى أحمد عن ابن عباس في قوله تعالى (فإذا نقر في الناقور) قال قال رسول الله ﷺ كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر فينفخ، فقال: أصحاب رسول الله ﷺ فما تأمرنا يا رسول الله؟ قال قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا.

والصوت هو صوت البوق والمراد به النفخة الثانية نفخة البعث والجزاء فإذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير صعب شديد لا يحتمل ولا يطاق على الكافرين غير يسير[1] فذكر به من تدعوهم فإن التذكير به نافع إن شاء الله، ولذا كان من أعظم أركان العقيدة التي إن تمكنت من النفس تهيأ صاحبها لحمل كل ثقيل ولإنفاق كل غال ورخيص ولفراق الأهل والدار الإيمان بالله واليوم الآخر إذ هما محور العقيدة وعليهما مدار الإصلاح والهداية.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ الجد طابع المسلم، فلا كسل ولا خمول ولا لهو ولا لعب ومن فارق هذه فليتهم نفسه في إسلامه.

٢ـ وجوب تعظيم أسمائه وصفاته وتعظيم كلامه وكتابه، وتعظيم شعائره تعظيم ما عظم.

٣ـ وجوب الطهارة للمؤمن بدناً وثوبا ومسجداً. أكـلاً وشرباً وفراشاً ونفساً وروحا.

٤ـ حرمة العجب فلا يعجب المؤمن بعمله ولا يزكي به نفسه ولو صام الدهر، وأنفق الصخرة وجاهد الدهر.

٥ـ وجوب الصبر على الطاعات فعلا وعلى المعاصي تركاً وعلى البلاء تسليما ورضا.

ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا
مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ
أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ كَانَ لِءَايَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾
إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ
﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ
يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ
مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾

---

(١) في الآية دليل على أن حال المؤمنين في عرصات القيامة غير حال الكافرين في الشدة والبلاء.

شرح الكلمات:

ذرني ومن خلقت وحيدا: أي اتركني ومن خلقته وحيداً منفرداً بلا مال ولا ولد فأنا أكفيكه.

وبنين شهودا : أي يشهدون المحافل وتُسمع شهادتهم وأغلب الوقت حاضرون ولا يغيبون.

ومهدت له تمهيدا : أي بسطت له في العيش والعمر والولد والجاه حتى كان يلقب بريحانة قريش.

عنيدا : أي معانداً وهو الوليد بن المغيرة المخزومي.

سأرهقه صعودا : أي سأكلفه يوم القيامة صعود جبل من نار كلما صعد فيه هوى في النار أبداً.

إنه فكر وقدّر : أي فيما يقول في القرآن الذي سمعه من النبي ﷺ وقدر في نفسه ذلك.

ثم نظر ثم عبس وبسر : أي تروّى في ذلك ثم عبس أي قبض ما بين عينيه ثم بسر أي كلح وجهه.

ثم أدبر واستكبر : أي عن الإيمان واستكبر عن اتباع الرسول ﷺ.

سحر يؤثر : أي ينقل من السحرة كمسيلمة وغيره.

سأصليه سقر : سأدخله جهنم وسقر اسم لها يدخله فيها لإحراقه بنارها.

لا تبقي ولا تذر : أي لا تترك شيئا من اللحم ولا العصب إلا أهلكته ثم يعود كما كان لإدامة العذاب.

لواحة للبشر : أي محرقة مسودة لظاهر جلد الإنسان وهو بشرته والجمع بشر.

عليها تسعة عشر : أي ملكاً وهم خزنتها.

معنى الآيات:

لقد تحمل رسول الله ﷺ عبء الدعوة وأمر بالصبر وشرع ﷺ في إنذار قومه وبدأت المعركة كأحرّ وأشد ما تكون إذ أعلم قومه وهم من هم أنه لا إله إلا الله وأنه هو رسول الله فتصدى له طاغية من أعظم الطغاة ساد الوادي مالاً وولداً وجاهاً عريضا حتى لقب بريحانة قريش هذا هو الوليد بن المغيرة صاحب عشرة رجال من صلبه وآلاف الدنانير من الذهب فلما أرهب رسول الله وأخافه قال له ربّه تبارك وتعالى ﴿ذرني﴾ أي دعني والذي خلقته ﴿وحيداً﴾[1] فريداً بلا مال ولا ولد،

(١) عن ابن عباس: كان الوليد يقول أنا الوحيد بن الوحيد ليس لي في العرب نظير ولا لأبي المغيرة نظير.

﴿وجعلت له مالاً ممـدوداً﴾ واسعا تمده به الزراعة والتجارة فصلا بعد فصل ويوما بعد يوم، ﴿وبنين شهـودا﴾ لا يغيبون كما يغيب الذين يطلبون العيش كما أنهم لمكانتهم يستشهدون فيشهـدون فهم شهـود على غيرهم. ويشهدون المحافل وغيرها. ﴿ومهدت له تمهيدا﴾[١] أي بسطت له في العيش والعمر والولد والجاه العريض في ديار قومه، ﴿ثم يطمع أن أزيد﴾ أي أن أزيده من المذكور في الآيات ﴿كلا﴾ أي لن أزيده بعد اليوم، وعلل تعالى لمنعه الزيادة بقوله: ﴿إنـه كان لآياتنـا﴾ «القرآنية» ﴿عنيداً﴾ أي[٢] معانداً يحاول ابطالها بعد رفضه لها. ﴿سأرهقه صعودا﴾ أي سأكلفه عذابا شاقا لا قبل له به وذلك جبل[٣] من نار في جهنم يكلف صعوده كلما صعد سقط وذلك أبداً. وعلل أيضا لهذاالعذاب الذي أعده له وأوعده به فقال تعالى ﴿إنه فكر﴾ أي فيما يقول في القرآن لما طلبت منه قريش أن يقول فيه ما يراه من صلاح أو فساد. ﴿وقدر﴾ في نفسه ﴿فقتل كيف قدر﴾ أي لعن كيف قدر ذلك التقدير الذي هو قوله ﴿إن هذا إلا سحر يؤثر إن هذا إلا قول البشر﴾. ﴿ثم قتل كيف قدر﴾ فلعنه الله لعنتين تلازمانه واحدة في الدنيا والأخرى في الآخرة وقوله تعالى عنه ﴿ثم نظر﴾ أي تَرّوى ﴿ثم عبس﴾ أي قطب فقبض ما بين عينيه ﴿وبسر﴾ أي كلح وجهه فاسودّ. فقال اللعين نتيجة تفكير وتقدير ونظر ﴿إن هذا إلا سحر يؤثر﴾ أي ما هذا القرآن إلا سحر ينقل عن السحرة في اليمن ونجد والحجاز ﴿إن هذا إلا قول البشر﴾ أي ما هذا الذي يتلوه محمد ﷺ إلا قول البشر قال[٤] تعالى موعداً إياه على قولته الكافرة الفاجرة ﴿سأصليه سقر﴾ أي سأدخله نار سقر يصطلي بنارها، ثم عظّم تعالى من شأن سقر فقال ﴿وما أدراك ما سقر﴾ أي أي شيء يدريك ما هي وما شأنها فإنها عظيمة ﴿لا تبقي ولا تذر﴾ أي لا تبقي لحما ولا تذر عصبا بل تأتي على الكل لواحة[٦] للبشر أي تحرق الجلود وتسوّدها. والبشر جمع بشرة الجلدة ومن ذلك سمي الآدميون بشرا لأن بشرتهم مكشوفة ليست مستورة بوبر ولا صوف ولا شعر ولا ريش. وقوله تعالى ﴿عليها تسعة عشر﴾ أي على سقر ملائكة يقال لهم الخزنة عدتهم تسعة عشر ملكاً لقد كان لنزول هذه الآية سبب معروف وهو أن قريشا اتهمت الوليد بأنه صبا أي مال إلى دين محمد فسمع ذلك منهم فأنكر وحلف لهم فطلبوا إليه إن كان صادقا أن

---

(١) قال القرطبي: التمهيد عند العرب التوطئة والتهيئة: ومنه مهد الصبي.
(٢) يقال عند يعند كضرب يضرب أي خالف ورد الحق وهو يعرفه فهو عنيد وعاند.
(٣) رواه الترمذي. وقال فيه غريب.
(٤) قال السدي يعنون انه من قول سيار عبد لبني الحضرمي كان يجالس النبي ﷺ فنسبوه إلى انه تعلم منه ذلك.
(٥) ما استفهامية أي أي شيء يدريك وما سقر ما استفهامية مبتدأ وسقر خبره.
(٦) البشر جمع بشرة ومعنى لواحة مغيرة للون البشر بالسواد يقال لاحه الحر أوالبرد أو المرض إذا غيره قال الشاعر:
تقول ما لاحك يا مسافر يابنة عمي لاحنى الهواجر

يقول في القرآن كلمة يصرف بها العرب عن محمد وما يقوله ويدعو إليه فذهب إلى رسول الله ﷺ وهو يصلي ويقرأ في صلاته فاستمع إليه ففكر وقدر كما أخبر تعالى عنه في هذه الآيات وقال قولته الفاجرة الكافرة. إن هذا إلا سحر يؤثر إن هذا إلا قول البشر بعد أن وصف القرآن وصفا دقيقا بقوله ووالله إن لقوله لحلاوة وإنه ليحطم ما تحته، وإنه ليعلو ولا يُعلى أي عليه فقالوا والله لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه فقال دعوني حتى افكر ففكر وقال ما تقدم فنزلت هذه الآيات ﴿ذرني ومن خلقت وحيدا﴾ إلى قوله ﴿تسعة عشر﴾.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ المال والبنون والجاه من عوامل الطغيان إلاّ أن يُسلّم الله عبده من فتنتها.

٢ـ من أكفر الناس من يعاند في آيات الله يريد صرف الناس عنها وإبطال هدايتها.

٣ـ بيان ما ظفر به طاغية قريش الوليد بن المغيرة من لعنة وعذاب شديد.

٤ـ تقرير الوحي وإثبات النبوة المحمدية.

٥ـ تقرير البعث والجزاء.

وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً
لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا
وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ
وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي
مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ كَلَّا
وَالْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى
الْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾

شرح الكلمات:

أصحاب النار: أي خزنتها مالك وثمانية عشر معه.

إلا ملائكة: أي لم نجعلهم بشراً ولا جناً حتى لا يرحموهم بحكم

الجنس.

وما جعلنا عدتهم : أي كونهم تسعة عشر.

إلا فتنة للذين كفروا : أي ليستخفوا بهم كما قال أبو الأشُدين الجُمحي فيزدادوا ضلالا.

ليستيقن الذين أوتوا الكتاب : أي ليحصل اليقين لأهل التوراة والإنجيل بموافقة القرآن لكتابيهما التوراة والإنجيل.

ولا يرتاب : أي ولا يشك أهل الكتاب والمؤمنون في حقيقة ذلك.

وليقول الذين في قلوبهم مرض : أي مرض النفاق.

ماذا أراد الله بهذا مثلا : أي أي شيء أراد الله بهذا العدد الغريب استنكاراً منهم.

كذلك : أي مثل اضلال منكر هذا العدد وهدى مصدقه يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء.

وما هي إلا ذكرى للبشر : أي وما النار إلا ذكرى للبشر يتذكرون بها.

إذ أدبر : أي ولى ومضى.

إذا اسفر : أي أضاء وظهر.

إنها لاحدى الكبر : أي جهنم لإحدى البلايا العظام.

نذيرا للبشر : أي عذاب جهنم نذير لبني آدم.

لمن شاء منكم : أي أيها الناس.

أن يتقدم : أي بالطاعة.

أو يتأخر : أي بالمعصية.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا﴾ هذه الآية نزلت ردّاً على أبي الأشُدين كلدة الجمحي الذي قال لما سمع قول الله تعالى ﴿وما أدراك ما سقر لا تبقي ولا تذر لواحة للبشر عليها تسعة عشر﴾ قال لقريش ساخراً مستهزئاً أنا أكفيكم سبعة عشر واكفوني أنتم اثنين، ومرة قال أنا أمشي بين أيديكم على الصراط فأدفع عشرة بمنكبي الأيمن وتسعة بمنكبي الأيسر في النار ونمضي فندخل الجنة. فأنزل الله تعالى قوله ﴿وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة﴾ أي لم نجعلهم بشراً ولا جنّاً حتى لا يرحموا أهل النار بخلاف لو

كانوا بشرا قد يرحمون بني جنسهم ولو كانوا جنا فكذلك، ولذا جعلهم من الملائكة فلا تناسب بينهم وبين الإنس والجن والمراد بأصحاب النار خزنتها وهم مالك وثمانية عشر هؤلاء رؤساء في جهنم أما من عداهم فلا تتسع لهم العبارة ولا حتى الرقم الحسابي وكيف وقد قال تعالى ﴿وما يعلم جنود ربك إلا هو﴾، وقوله ﴿وما جعلنا عدتهم﴾ (١) أي كونهم تسعة عشر ﴿إلا فتنة للذين كفروا﴾ (٢) ليزدادوا ضلالا وكفرا وقد تم هذا فإن أبا جهل كأبي الأشدين قد فتنا بهذا العدد وازدادا ضلالا وكفرا بما قالا ، وقوله تعالى ﴿ليستيقن الذين أوتوا الكتاب﴾ أي أخبرنا عن عددهم وأنه تسعة عشر ليستيقن (٣) الذين أوتوا الكتاب (٤) لموافقة القرآن لما عندهم في كتابهم . ويزداد الذين آمنوا إيمانا فوق إيمانهم عندما يرون أن التوراة موافقة للقرآن الكريم كشاهد له، وقوله ﴿ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون﴾ أي حتى لا يقعوا في ريب وشك في يوم من الأيام لما اكتسبوا من المناعة بتضافر الكتابين على حقيقة واحدة. وقوله ﴿وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا﴾ أي وما جعلنا عدتهم تسعة عشر إلا ليقول الذين في قلوبهم مرض وهو النفاق والشك والكافرون الكفر الظاهر من قريش وغيرهم ماذا أراد الله بهذا مثلا أي أي شيء أراده الله بهذا الخبر الغريب غرابة الأمثال قالوا هذا استنكارا وتكذيبا . فهذه جملة علل ذكرها تعالى لإخباره عن زبانية جهنم ثم قال وقوله الحق ﴿كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء﴾ أي مثل اضلال منكر هذا العدد وهُدًى مصدقه يضل الله من يشاء إضلاله ويهدي من يشاء هدايته . وقوله تعالى ﴿وما يعلم جنود (٥) ربك إلا هو﴾ هذا جواب أبي جهل القائل أما لمحمد أعوان إلا تسعة عشر استخفافا وتكذيبا فأخبر تعالى أن له جنوداً لا يعلم عددها ولا قوتها إلا هو وقد ورد أن لأحدهم مثل قوة الثقلين يسوق أحدهم الأمة وعلى رقبته جبل فيرمي بهم في النار ويرمي الجبل عليهم، ولا عجب وأربعة ملائكة يحملون العرش الذي هو أكبر من السموات والأرضين فسبحان الخلاق العليم سبحان الله العزيز الرحيم سبحان الله ذي الجبروت والملكوت. وقوله تعالى وما هي (٦) أي جهنم إلا ذكرى للبشر أي تذكرة يذكرون بها عظمة الله

---

(١) تقدير الكلام: ما جعلنا ذكر عدتهم لِعِلَّةٍ وغرض إلا لغرض فتنة الذين كفروا.

(٢) روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن فتنة بمعنى ضلالة للذين كفروا يريد أباجهل وذويه، وقيل إلا عذاباً كقوله تعالى ﴿يوم هم على النار يفتنون ذوقوا فتنتكم﴾.

(٣) قوله ليستيقن الذين أوتوا الكتاب. علة ثانية لفعل وما جعلنا والاستيقان قوة اليقين والمراد من الاستيقان قوة اليقين.

(٤) أوتوا الكتاب هم اليهود. فقد روى الترمذي بسنده إلى جابر بن عبدالله قال قال ناس من اليهود لأناس من أصحاب رسول الله صلىﷺ هل يعلم نبيكم عدد خزنة جهنم؟ قالوا: لا ندري حتى نسأل.

(٥) هذه الجملة كلمة جامعة لإبطال التخرصات التي يتخرصها المبطلون الضالون وإضافة الرب إلى ضمير النبي ﷺ إضافة تشريف وفيها الإيماء بنصره ﷺ بتلك الجنود التي هم جنود ربه عز وجل.

(٦) جائز أن يكون الضمير (وما هي) عائد إلى عدة الملائكة التسعة عشرة وجائز أن يكون عائداً إلى الآيات القرآنية أو إلى سقر أو إلى جنود ربك وهذا من الاعجاز القرآني وأن الكلمة الواحدة تدل على ما لا يدل عليه عشرات الكلمات.

ويخافون بها عقابه. وقوله ﴿كلا[1] والقمر والليل إذا أدبر والصبح إذا أسفر﴾ أي كلا أي ليس القول كما يقول من زعم من المشركين أنه يكفي أصحابه المشركين خزنة جهنم حتى يجهضهم عنها. والقمر والليل إذا أدبر ولى ذاهبا والصبح إذا أسفر أي أضاء وأقبل ﴿إنها لإحدى الكبر﴾ أي أقسم تعالى بالقمر والليل إذا أدبر والصبح إذا أسفر على أن جهنم[2] لإحدى الكبر أي البلايا العظام ﴿نذيرا للبشر﴾ أي بني آدم، وقال نذيرا ولم يقل نذيرة وهي جهنم لأنها بمعنى العذاب أي عذابها نذير للبشر. وقوله ﴿لمن شاء منكم أن يتقدم﴾ في طاعة الله ورسوله حتى يبلغ الدرجات العلا، ﴿ومن شاء أن يتأخر﴾ في معصية الله ورسوله حتى ينزل الدركات السفلى.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- بيان الحكمة من جعل عدد الزبانية تسعة عشر والإخبار عنهم بذلك.
٢- موافقة التوراة والإنجيل للقرآن من شأنها أن تزيد إيمان المؤمنين من الفريقين.
٣- في النار من الزبانية مالا يعلم عددهم إلا الله تعالى خالقهم.
٤- جهنم نذير للبشر أي عذابها نذير للبشر لمن شاء أن يتقدم بالطاعة أو يتأخر بالمعصية.

كُلُّ
نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ
﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ
ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ
ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾
فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ
﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ

(١) حرف ردع وإبطال والغالب أنها تقع بعد كلام من متكلم واحد ومتكلم وسامع فتفيد الردع عما تضمنه الكلام السابق ذهب ابن جرير إلى أنها هنا للردع وإبطال ما زعمه المشركون من القدرة على الزبانية كما في التفسير. وعليه فالوقف عليه مستحسن ومنهم من جعلها افتتاح كلام نحو ألا وعليه فالوقف لا يحسن عليها بل على القمر.

(٢) القول بأنها سقر أقرب من جهنم لتقدم ذكر سقر بلفظها والأمر واسع.

كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ
ٱلْآخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾
وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾

شرح الكلمات :

كل نفس : أي مأمورة منهية.

رهينة : أي مرهونه مأخوذة بعملها في جهنم.

إلا أصحاب اليمين : أي المؤمنين فهم ناجون من النار وهم في جنات النعيم يتساءلون عن المجرمين.

ولم نك نظعم المسكين : أي بخلا بما آتاهم الله.

وكنا نخوض : أي في الباطل وفيما يكره الله تعالى مع الخائضين.

نكذب بيوم الدين : بيوم المجازاة والثواب ولا نصدق بثواب ولا عقاب.

حتى أتانا اليقين : أي الموت.

عن التذكرة معرضين : أي الموعظة منصرفين لا يسمعونها ولا يقبلون عليها.

حُمر مستنفرة : أي كأنهم حمر وحشية مستنفرة.

فرت من قسورة : أي هربت من أسدٍ أشَدَّ الهرب.

بل يريد كل امرىء منهم : أي ليس هناك قصور في الأدلة والحجج التي قدمت لهم بل يريد كل واحد منهم.

أن يؤتى صحفا منشرة : أي يصبح وعند رأسه كتاب من الله رب العالمين إلى فلان آمن بنبينا محمد واتبعه.

إنه تذكرة : أي عظة وعبرة.

فمن شاء ذكره : أي قرأه واتعظ به.

هو أهل التقوى : أي هو أهل لأن يتقي لعظمة سلطانه وأليم عقابه.

وأهل المغفرة : أي وأهل لأن يغفر للتائبين من عباده والموحدين.

معنى الآيات:

ما زال السياق الكريم في تقرير عقيدة البعث والجزاء فقال تعالى ﴿كل نفس﴾ أي يوم القيامة ﴿رهينة﴾ بمعنى مرهونة محبوسة أي كل نفس مأمورة منهية بمعنى مكلفة بخلاف نفوس غيرالمكلفين من أطفال ومجانين وقوله ﴿إلا أصحاب اليمين﴾ فإنهم قد فك رهنهم وهم في جنات النعيم يتساءلون فيما بينهم عن أصحاب الجحيم وكيف حالهم ثم يتصلون بهم وهم في جنات النعيم والمجرمون في سواء الجحيم، ويتم الاتصال برؤية الشخص وسماع كلامه وفي الصناعات الحديثة اليوم ما جعل هذا امراً معقولا فيقولون لهم ﴿ما سلككم في سقر﴾ أي أدخلكم في سقر فأجابوهم قائلين ﴿لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين﴾. فذكروا لهم أعظم الجرائم وهي ترك الصلاة ومنع الزكاة والتخوض مع أهل الباطل في كل شر وفساد والتكذيب بيوم القيامة وانه لا حساب ولا جزاء أي لا ثواب ولا عقاب وأنهم مع هذه الجرائم الموجبة للسلوك في سقر لم يتوبوا منها حتى أتاهم اليقين الذي هو الموت فإن من مات دخل الدار الآخرة من عتبتها وهي القبر فلذا قالوا حتى أتانا اليقين أي الموت. وقد يقال ألم يكن هناك شفعاء من الملائكة والأنبياء والعلماء والشهداء يشفعون؟ والجواب هو في قوله تعالى ﴿فما تنفعهم شفاعة الشافعين﴾ أي لم تكن لهم شفاعة لأنهم ملاحدة مجرمون. وقوله تعالى ﴿فما لهم عن التذكرة معرضين﴾ أي فما لهؤلاء المشركين المكذبين بالبعث والجزاء عن التذكرة التي يذكرون بها في آيات هذه السورة وغيرها معرضين إنه أمر عجيب أي شيء يجعلهم يعرضون عنها هاربين منها فارين ﴿كأنهم حمر﴾ وحشية ﴿مستنفرة فرت من قسورة﴾ أي فرت هاربة أشد الهرب من أسد من أسود الصحراء الطاغية إن فرارهم من هذه الدعوة وإعراضهم عنها ليس عن قصور في أدلتها وضعف في حجتها بل يريد كل واحد منهم أن يؤتى كتاباً من الله يأمره فيه بالإيمان واتباع محمد ﷺ وهذا هو العناد والمكابرة وصاحبهما غير مستعد للإيمان بحال من الأحوال. وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿ حتى[1] تنزل علينا كتابا نقرأه﴾ هذا معنى قوله تعالى ﴿بل يريد كل امرىء منهم أن يؤتى صحفا منشرة﴾. وقوله تعالى ﴿كلا بل لا يخافون الآخرة﴾ أي ليس الأمر كما يقولون ويدعون بل إن علة إعراضهم الحقيقية هي عدم خوفهم من عذاب الله يوم القيامة. وقوله تعالى ﴿كلا إنه تذكرة﴾ أي ألا إن هذاالقرآن تذكرة فمن شاء ذكره أي قرأه فاتعظ به فآمن بالله

---

(١) الآية من سورة الإسراء وهي (أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرأه) إذ روي أن أبا جهل وجماعة من قريش قالوا يا محمد لن نؤمن بك حتى تأتي كل واحد منا بكتاب من السماء عنوانه من رب العالمين إلى فلان بن فلان ونؤمر فيه باتباعك.

واتقاه فإنه ينجو ويسعد في جوار مولاه ومن لم يشأ ذلك فحسبه سقر وما أدراك ما سقر. وقوله تعالى ﴿وما يذكرون[1] إلا أن يشاء الله﴾ أي ما يذكر من يذكر إلا بمشيئة الله فلابد من الافتقار إلى الله وطلب توفيقه في ذلك إذ لا استقلال لأحد عن الله ولا غنى بأحد عن الله بل الكل مفتقر إليه ومشيئته تابعة لمشيئته وقوله ﴿هو[2] أهل التقوى وأهل المغفرة﴾ لقد[3] صح أن النبي ﷺ فسر هذه الآية فقال قال ربكم أنا أهل أن أُتقىٰ فلا يُجعل معي إله فمن اتقاني فلم يجعل معي إلهاً فأنا أهل أن أغفر له.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ فكاك كل نفس مرهونة بكسبها هو الإيمان والتقوى.

٢ـ بيان أكبر الجرائم وهي ترك الصلاة ومنع الزكاة والخوض في الباطل وعدم التصديق بالحساب والجزاء.

٣ـ لا شفاعة يوم القيامة لمن مات وهو يشرك بالله شيئا.

٤ـ مرد الانحراف في الإنسان إلى ضعف إيمانه بالبعث والجزاء.

٥ـ الله جل جلاله هو ذو الأهلية الحقة لأمرين عظيمين التقوى فلا يتقى على الحقيقة إلا هو والمغفرة فلا يغفر الذنوب إلا هو اللهم اغفر ذنوبنا فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت.

سُورَةُ القِيَامَةِ

مكيـة وآياتها أربعـون آيـة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿١﴾ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ أَيَحْسَبُ
ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾ بَلْ

(١) قرأ نافع وما تذكرون بالتاء على الالتفات، وقرأ حفص وما يذكرون بالياء على الغيبة.

(٢) تعريف جزيء الجملة مفيد للقصر أي الله وحده المتأهل للتقوى والمغفرة لا سواه.

(٣) الحديث رواه الترمذي وقال فيه حسن غريب ونصه: قال الله تعالى (أنا أهل أن أُتقى فمن اتقاني فلم يجعل معي إلها. فأنا أهل أن أغفر له).

يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ﴿٥﴾ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ
﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ
أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ
يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ
مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾

شرح الكلمات :

لا : أي ليس الأمر كما يدعي المشركون من أنه لا بعث ولا جزاء.

أقسم بيوم القيامة : أي الذي كذب به المكذبون.

ولا أقسم بالنفس اللّوامة : أي لتُبعثن ولتحاسبن ولتعاقبن أيها المكذبون الضالون.

اللوامة : أي التي إن أحسنت لامت عن عدم الزيادة وإن أساءت لامت عن عدم التقصير.

أيحسب الإنسان : أي الكافر الملحد.

أن لن نجمع عظامه : أي ألاّ نجمع عظامه لنحييه للبعث والجزاء.

بلى قادرين : أي بلى نجمعها حال كوننا قادرين مع جمعها على تسوية بنانه.

على أن نسوي بنانه : أي نجعل أصابعه كخف البعيرأو حافر الفرس فلا يقدر على العمل الذي يقدر عليه الآن مع تفرقة أصابعه. كما نحن قادرون على جمع تلك العظام الدقيقة عظام البنان وردّها كما كانت كما نحن قادرون على تسوية تلك الخطوط الدقيقة في الأصابع والتي تختلف بين إنسان وإنسان اختلاف الوجوه والأصوات واللهجات.

بل يريد الإنسان : أي بإنكاره البعث والجزاء.

ليفجر أمامه : أي ليواصل فجوره زمانه كله ولذلك أنكر البعث.

يسأل أيان يوم القيامة : أي يسأل سؤال استنكار واستهزاء واستخفاف.

فإذا برق البصر : أي دهش وتحير لمّا رأى ما كان به يكذب.

وخسف القمر : أي أظلم بذهاب ضوئه.

وجمع الشمس والقمر : أي ذهب ضوءهما وذلك في بداية الانقلاب الكوني الذي تنتهي فيه هذه الحياة.

أين المفر : أي إلى أين الفرار.

كلا : ردع له عن طلب الفرار.

لا وزر : أي لا ملجأ يتحصن به.

بل الإنسان على نفسه بصرة : أي هو شاهد على نفسه حيث تنطق جوارحه بعمله.

ولو ألقى معاذيره : أي فلابد من جزائه ولو ألقى معاذيره.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿لا أقسم بيوم القيامة﴾[1] أي ما الأمر كما تقولون أيها المنكرون للبعث والجزاء أقسم بيوم القيامة الذي تنكرون وبالنفس اللوامة التي ستحاسب وتجرى لا محالة لتبعثن[2] ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير. وقوله تعالى ﴿أيحسب الإنسان ألّن نجمع عظامه﴾ أي بعد موته وفنائه وتفرق أجزائه في الأرض، والمراد من الإنسان هنا الكافر الملحد قطعاً ﴿بلى[3] قادرين على أن نسوي بنانه﴾ أي بلى نجمعها حال كوننا قادرين على ذلك وعلى ما هو أعظم وهو تسوية بنانه أي أصابعه بأن نجعلها كخف البعير أو حوافر الحمير، فيصبح يتناول الطعام بفمه كالكلب والبغل والحمار. وقوله ﴿بل[4] يريد الإنسان ليفجر[5] أمامه﴾ أي ما يجهل الإنسان قدرة خالقه على إعادة خلقه ولكنه يريد أن يواصل فجوره مستقبله كله فلا يتوب من ذنوبه ولا يؤوب من معاصيه لأن شهواته مستحكمة فيه، وقوله تعالى ﴿يسأل أيّان يوم القيامة؟﴾ يخبر تعالى عن المنكر للبعث من أجل مواصلة الفجور من زنا وشرب خمور بأنه يقول أيّان يوم القيامة استبعادا واستنكارا

---

(١) في (لا) هنا توجيهان الأول ما آثره ابن جرير وهو ما اخترناه في التفسير، وأنها نافية لدعوى سابقة ابطالا لها والكلام بعدها مستأنف. والثاني أنها أي (لا) أنها حرف نفي أدخل على (أقسم) لقصد المبالغة في تحقيق حرمة المقسم به بحيث يوهم السامع أن المتكلم يهم أن يقسم ثم يترك القسم مخافة الحنث بالمقسم به فيقول لا أقسم به ولا أقسم بأعز منه عندي، والمراد تأكيد القسم ووجه ثالث وهي أنها مزيدة لتقوية الكلام.

(٢) لتبعثن هو جواب القسم.

(٣) بلى حرف إبطال للنفي أي بل نجمعها أي العظام المتفرقة حال كوننا قادرين على ذلك وعلى ما هو أعظم وهو تسوية بنانه.

(٤) بل هنا للإضراب الانتقالي من تقريره حقيقة إلى اخرى أعجب واغرب وهي الكشف عن سر إنكار الملاحدة للبعث وهو مواصلتهم الفجور عن كل خلق ودين ومروءة وأدب لانهزامهم لشهواتهم البهيمية.

(٥) اللام في ليفجر هي اللام التي يكثر وقوعها بعد مادتي الأمر والإرادة نحو وأمرت لأعدل بينكم ويريد الله ليبين لكم، وقول كثير:

أريد لأنسى حبها فكأنما تمثل لي ليلى بكل مكان.

وينصب الفعل بعدها بأن مضمرة وهل هي للتعليل او زائدة خلاف.

وتسويفا للتوبة فبيّن تعالى له وقت مجيئه بقوله ﴿فإذا برق البصر﴾[1] أي عند الموت بأن تحير واندهش ﴿وخسف القمر﴾ أي أظلم وذهب ضوءه، ﴿وجمع الشمس والقمر﴾ أي ذهب ضوءهما وذلك في بداية الانقلاب الكوني الذي تنتهي فيه هذه الحياة ﴿يقول الإنسان﴾ الكافر ﴿يومئذ أين المفر؟﴾ أي إلى أين الفرار يا ترى؟ قال تعالى ﴿كلاّ﴾ أي لا فرار اليوم من قبضة الجبار أيها الإنسان الكافر ﴿لا وزر﴾ أي لا حصن ولا ملتجأ وإنما ﴿إلى ربك﴾ اليوم ﴿المستقر﴾ أي الانتهاء والاستقرار إما إلى جنة وإما إلى نار وقوله تعالى ﴿يُنبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر﴾ أي يوم تقوم الساعة يخبّر الإنسان من قبل ربّه تعالى بما قدم من أعماله في حياته الخير والشر سواء وبما أخر بعد موته من سنة حسنة سنّها أو سيئة كذلك وقوله تعالى ﴿بل الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره﴾ أي عندما يتقدم الإنسان للاستنطاق فيخبر بما قدم وأخر هناك يحاول أن يتنصل من بعض ذنوبه فتنطق جوارحه ويختم على لسانه فيتخذ من جوارحه شهود عليه فتلك البصيرة[2] ولو ألقى معاذيره[3] واعتذر ولا يقبل منه ذلك لكونه شاهدا على نفسه بجوارحه.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء.

٢ـ بيان إفضال الله على العبد في خلقه وتركيب أعضائه.

٣ـ معجزة قرآنية اثبتهاالعلم الصناعي الحديث وهي عدم تسوية خطوط الأصابع.

٤ـ فكما خالف تعالى بين الإنسان والإنسان وبين صوت وصوت فـرّق بين خطوط الأصابع فلذا استعملت في الإمضاءات وقبلت في الشهادات.

٥ـ تقرير مبدأ أن المؤمن يثاب على ما أخر من سنة حسنة يُعمل بها بعده كما يأثم بترك السنة السيئة يُعمل بها كذلك بعده.

---

(١) قرأ نافع برق البصر بفتح الراء ومعناه لمع من شدة شخوصه فهو لا يطرف وقرأ برق بكسر الراء ومعناه دهش وتحير. وهذا عند موت الإنسان.

(٢) البصيرة جائز أن يراد بها الملكان بقرينة. ولو ألقى معاذيره أي لو أرخى ستوره إذ الستر بلغة اليمن المعذار وجائز أن يكون المراد بها الإنسان نفسه أي حجة على نفسه وما في التفسير أولى بمعناها.

(٣) المعاذير اسم جمع معذرة وليس جمعاً، لأن معذرة حقه أن يجمع على معاذر كمقبرة ومقابر، والمراد من معاذر الإنسان: ما يعتذر به كقولهم: ما جاءنا من بشير ولا نذير وقولهم (رب ارجعون لعلي أعمل صالحاً) وقولهم (هؤلاء أضلونا) وقولهم والله ربنا ما كنا مشركين.

لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ
وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾
كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٢١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾
إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍۭ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾

شرح الكلمات:

لا تحرك به لسانك	: أي لا تحرك بالقرآن لسانك قبل فراغ جبريل منه.
لتعجل به	: أي مخافة أن يتفلت منك.
إن علينا جمعه	: أي في صدرك
وقرآنه	: أي قراءتك له بحيث نُجريه على لسانك.
فإذا قرأناه	: أي قرأه جبريل عليك.
فاتبع قرآنه	: أي استمع قراءته.
ثم إن علينا بيانه	: أي لك بتفهيمك ما يشكل عليك من معانيه.
كلا	: أي ليس الأمر كما تزعمون أنه لا بعث ولا جزاء.
يحبون العاجلة	: أي الدنيا فيعملون لها.
ويذرون الآخرة	: أم ويتركون الآخرة فلا يعملون لها.
ناضرة	: أي حسنة مضيئة.
إلى ربها ناظرة	: أي إلى الله تعالى ربها ناظرة بحيث لا تحجب عنه تعالى.
باسرة	: أي كالحة مسودة عابسة.
تظن	: أي توقن.
أن يفعل بها فاقرة	: أي داهية عظيمة تكسر فقار الظهر.

معنى الآيات:

لما ندد تعالى بالمعرضين عن القرآن المكذبين به وبالبعث والجزاء ذكر في هذه الآيات المقبلين على القرآن المسارعين إلى تلقيه فكانت المناسبة بين هذه الآيات وسابقاتها المقابلة بالتضادّ.

فقال تعالى مؤدباً رسوله محمدا ﷺ ﴿لاتحرك به﴾[1] أي بالقرآن ﴿لسانك﴾ قبل فراغ جبريل من قراءته عليك. إذ كان ﷺ حريصا على القرآن يخاف أن يتفلّت منه شيء فأكرمه ربّه بالتخفيف عليه وطمأنه أن لا يفقد منه شيئا فقال له ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به﴾ مخافة أن يتفلت منك ﴿إن علينا جمعه﴾ أي في صدرك ﴿وقُرآنه﴾ على لسانك حيث نسهل ذلك ونجريه على لسانك، ﴿فإذا قرأناه﴾ أي قرأه جبريل عليك ﴿فاستمع﴾ له ثم اقرأه كما قرأه واعمل بشرائعه وأحكامه. وقوله تعالى ﴿ثم إن علينا بيانه﴾[2] أي إنا نبيِّن لك ما يشكل عليك من معانيه حتى تعمل بكل ما طلب منك أن تعمل به. وقوله تعالى ﴿كلّا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة﴾ عاد السياق الكريم إلى تقرير عقيدة البعث والجزاء والتي عليها وعلى الإيمان بالله مدار الإصلاح والتهذيب فقال ﴿كلا﴾[3] أي ليس كما تدعون من عدم إمكان البعث والجزاء لأنكم تعلمون أن القادر على إيجادكم اليوم وإعدامكم غداً قادر على إيجادكم مرة أخرى، ولكن الذي جعلكم تكذبون بالبعث والجزاء هو حبكم للحياة للعاجلة أي للدنيا وما فيها من لذات وشهوات، وترككم للآخرة أي للحياة الآخرة لأنها تكلفكم الصلاة والصيام والجهاد، والتخلي عن كثير من اللذات والشهوات. بعد أن كشف عن نفسيات المكذبين توبيخا لهم وتقريعاً عرض على أنظارهم منظراً حيا وصورة ناطقة لما يتجاهلونه من شأن الآخرة فقال ﴿وجوه يومئذ﴾ أي يوم إذ تقوم القيامة ﴿ناضرة﴾ أي حسنة[4] مضيئة مشرقة لأن أرواح أصحابها كانت في الدنيا مشرقة بنور الإيمان وصالح الأعمال ﴿إلى ربها[5] ناظرة﴾ سعيدة بلقاء ربها مكرمة بالنظر إليه وهي في جواره ﴿ووجوه يومئذ باسرة﴾ أي كالحة مسودة عابسة وذلك لأن أرواح أصحابها كانت في الدنيا تعيش على ظلمة الكفر وعفن الذنوب ودخان المعاصي فانطبعت النفس على الوجه فهي باسرة حالكة عابسة ﴿تظن﴾ أي توقن أي الوجوه والمراد أصحابها ﴿أن يفعل بها[6] فاقرة﴾ أي داهية عظيمة تكسر فقار

---

(١) روى الترمذي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه القرآن يحرك به لسانه يريد ان يحفظه فأنزل الله تعالى (لا تحرك به لسانك لتعجل به) فكان يحرك شفتيه، وحرك سفيان شفتيه. قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح.

(٢) أي تفسير ما فيه من الحدود والحلال والحرام وكيفيات العبادات وجائز أن يبين له الوعد والوعيد بتحقيقهما.

(٣) كلا حرف ردع إبطال وفي التفسير بيان ما أبطل بها.

(٤) وشاهد هذ الحديث : نضّر الله امرءاً سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها.

(٥) نفى المعتزلة والخوارج وعامة الفرق الضالة نفوا رؤية الله تعالى في الدار الآخرة وردوا بذلك الكتاب والسنة فهذه الآية صريحة في جواز النظر إلى وجه الله تعالى وآية المطففين. (انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) فغيرهم من أهل الإيمان وصالح الأعمال غير محجوبين، ومن السنة حديث البخاري وغيره (إنكم سترون ربكم عياناً كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها) فافعلوا (متفق عليه) وأحاديث أخرى ويكفي إجماع أهل السنة والجماعة.

(٦) الفقرة بكسر الفاء وتفتح والجمع فقر وفقار وفقر وفقرات وفقرات خرزات الظهر.

الـظهر منها وهي القاؤه ﴿في سقر وما أدراك ما سقر لا تبقي ولا تذر لواحة للبشر عليها تسعة عشر﴾ ، فاذكروا هذا يا بشر ! !

كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنۡۜ رَاقٖ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلۡفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلۡتَفَّتِ
ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ
﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ أَوۡلَىٰ لَكَ
فَأَوۡلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾
أَلَمۡ يَكُ نُطۡفَةٗ مِّن مَّنِيّٖ يُمۡنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةٗ فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنۡهُ
ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيۡسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰ ﴿٤٠﴾

شرح الكلمات :

إذا بلغت : أي النفس .

التراقي : جمع ترقوة أي عظام الحلق .

وقيل من راق : أي وقال من حوله من عواده أو ممرضيه هل هناك من يرقيه ليشفى؟

وظن أنه الفراق : أي أيقن انه الفراق للدنيا لبلوغ الروح الحلقوم .

والتفت الساق بالساق : أي التفت احدى ساقيه بالأخرى أو التفت شدة فراق الدنيا بشدة اقبال الآخرة وما فيها من أهوال .

إلى ربك يومئذ المساق : أي إذا بلغت الروح الحلقوم تساق إلى ربها وخالقها لتلقى جزاءها .

فلا صدق ولا صلى : أي الإنسان الذي يحسب أن لن يجمع الله عظامه ما صدق ولا صلى .

ولكن كذب : أي بالقرآن .

وتولى : أي عن الإيمان .

يتمطى : أي يتبختر في مشيته إعجابا بنفسه .

أولى لك : أي وليك المكروه أيها المعجب بنفسه المكذب بلقاء ربه .

فأولى : أي فهو أولى بك .

ثم أولى لك فأولى : أي وليك المكروه مرة ثانية فأولى فهو أولى بك أيضا .

ان يترك سدى : أي مهملا لا يكلف في الدنيا ولا يحاسب ويجزى في الآخرة .

تمنى : أي تصب في الرحم.

فخلق فسوى : أي خلق الله منها الإنسان فسواه بتعديل أعضائه.

معنى الآيات:

ما زال السياق الكريم في تقرير عقيدة البعث والجزاء فقوله تعالى ﴿كلا﴾ أي ليس الأمر كما تحسب أيها الإنسان أن الله لا يجمع عظامك ولا يحييك ولا يجزيك انظر إليك وانت على فراش الموت إلى أين يكون مساقك إذا بلغت روحك التراقي[1] من عظام حلقك وقال عوادك وممرضوك هل من راق يرقيك أو طبيب يداويك وأيقنت أنه الفراق لدنياك وأهلك وذويك، والتفت ساقك اليمني باليسرى[2] وشدة فراقك الدنيا بشدة اقبالك على الآخرة هنا انظر إلى أين يذهب بك أما جسمك فإلى مقره في الأرض تواريك، وأما روحك فإلى ربك ليحكم فيك. وقد كذبت بآياته وكفرت بالآئه. فلا صدقت ولا صليت، ولكن كذبت وتوليت كان هذا نصيبك من دينك، وأما دنياك، فقد كنت تتمطى استكبارا وتتبختر اعجابا. إذاً ﴿أولى[3] لك فأولى﴾ أي وليك الهلاك في الدنيا ﴿ثم أولى لك فأولى﴾ أي وليك العذاب في الأخرى وعودة إلى تقريعك وتوبيخك يامن كفرت ربك وتنكرت لأصلك اسمع ما يُقال لك أحسبت أنك تترك سدى، تعيش سبهللا، لا تؤمر ولا تنهى، لا يؤخذ منك ولا تُعطي كلا ألم تك قبل كفرك وجحودك نطفة قطرة ماء من منيّ تمنى قل بلى أو أولى لك فأولى، ثم كنت علقة فخلقك الله جل جلاله منها فسوىّ خلقك بتعديل أعضائك فجعل من نوعك الذكر والأنثى. قل لي بربك هل تنكر ذلك فإن قلت لا. قلنا أليس الله بقادر على أن يحيي الموتى؟ سبحانك اللهم بلى[4].

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ مشروعية الرقية إذا كانت بالقرآن أو الكلم الطيب.

٢ـ التنويه بشأن الزكاة والصلاة فرائض ونوافل.

---

(١) التراقي جمع ترقوة وهي العظام المكتفة لنقرة النحر موضع الحشرجة قال دريد بن الصمة

ورب عظيمة دافعت عنهم وقد بلغت نفوسهم التراقي

(٢) أي التفت شدة فراقك الدنيا بشدة إقبالك على الآخرة هذا أحد وجهين في تفسير الآية وفي التفسير كلا الوجهين إلا أن في هذا خفاء فأوضحته هنا.

(٣) ما هناك حاجة إلى أن يقال هذا في أبي جهل إذ هو خطاب لكل إنسان كافر مشرك ضال وسواء كان قد مضى أهو حاضر اليوم أو يأتي غدا إذ لفظ الإنسان في قوله تعالى أيحسب الإنسان لفظ عام).

(٤) لقد [illegible] الأسلوب الأدبي فأخذت أخاطب الإنسان الهالك مقرعاً موبخاً بما تضمنته الآيات [illegible] فهم مدلولها للاتعاظ والاهتداء بهديها، فإن لم يك هذا مرضياً عندك فاعف عني واغفر لي. آمين.

٣ـ تحريم العجب والكبرياء والتبختر في المشي .

٤ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء .

٥ـ الإنسان لم يخلق عبثا والكون كله كذلك .

٦ـ مشروعية قول سبحانك اللهم بلى لمن قرأ هذه الآية أو سمعها إماماً كان أو مأموماً وهي ﴿أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى﴾ .

سُورَةُ الإِنْسَانِ

مدنيّة وآياتها إحدى وثلاثون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴿١﴾
إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا
بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾
إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ
الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾
عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ
يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا
وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا
﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ
الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾

شرح الكلمات :

هل أتى : أي قد أتى .

على الإنسان : أي آدم عليه السلام.

حين من الدهر : أي أربعون سنة.

لم يكن شيئا مذكورا : أي لانباهة ولا رفعة له لأنه طين لازب وحمأ مسنون وذلك قبل أن ينفخ الله تعالى فيه الروح.

أمشاج : أي أخلاط من ماء المرأة وماء الرجل.

نبتليه : أي نختبره بالتكاليف بالأمر والنهي عند تأهله لذلك بالبلوغ والعقل.

إنا هديناه السبيل : أي بينا له طريق الهدى ببعثة الرسل وإنزال الكتب.

إنا أعتدنا : أي هيأنا.

سلاسل : أي يسحبون بها في نار جهنم.

وأغلالا : أي في أعناقهم.

وسعيرا : أي ناراً مسعرة مهيجة.

إن الأبرار : أي المطيعين لله ورسوله الصادقين في إيمانهم وأقوالهم وأحوالهم.

مزاجها : أي ما تمزج به وتخلط.

يفجرونها : أي يجرونها ويُسيلونها حيث شاءوا.

شره مستطيرا : أي ممتدا طويلا فاشيا منتشرا.

عبوسا : أي تكلح الوجوه من طوله وشدته.

نضرة وسرورا : أي حسنا ووضاءة في وجوههم وفرحاً في قلوبهم.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿هل أتى[1] على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا﴾ يخبر تعالى عن آدم أبي البشر عليه السلام أنه أتى عليه حين من الدهر قد يكون أربعين سنة وهو صورة من طين لا روح فيها، فلم يكن في ذلك الوقت شيئا له نباهة أو رفعة فيُذكر. هذا الإنسان الأول آدم أخبر تعالى عن بدء أمره. وقوله ﴿إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج﴾ يخبر تعالى عن الإنسان الذي هو ابن آدم أنه خلقه من نطفة وهي[2] ما ينطف ويقطر من ماء الرجل وماء المرأة، ومعنى أمشاج[3]

(١) الاستفهام تقريري بمعنى قد أتى على الإنسان كذا. وجائز أن يكون المراد من الإنسان غير آدم وكونه آدم هو المراد من الآية أولى.

(٢) يقال مشج الشيء يمشجه أي خلطه فهو ممشوج ومشيج مثل مخلوط وخليط وهل أُمشاج جمع مَشَج على وزن سبب وأسباب أو هو مفرد خلاف.

(٣) من نطفة أي من ماء يقطر وهو المني وكل ماء قليل في وعاء فهو نطفة كقول عبدالله بن رواحة:

مالي أراك تكرهين الجنة   هل أنت إلا نطفة في شنة

أخلاط من ماء الرجل وماء المرأة فهذا مبدأ خلق الإنسان ابن آدم. وقوله ﴿نبتليه﴾[1] أي نختبره بالتكاليف بالأمر والنهي وذلك عند تأهله لذلك بالبلوغ والعقل ولذلك جعله سميعا بصيرا إذ بوجود السمع والبصر معاً أو بأحدهما يتم التكليف فإن انعدما فلا تكليف لعدم القدرة عليه. وقوله تعالى ﴿إنا هديناه السبيل﴾ أي بيّنا له طريق الهدى ببعثة الرسل وإنزال الكتب واستبان له[2] بذلك أيضا طريق الغيّ والردى إذ هما النجدان إن عرف أحدهما عرف الثاني وهو في ذلك إما أن يسلك سبيل الهدى فيكون شكورا، وإما أن يسلك سبيل الغي والردى فيكون كفورا، والشكور المؤمن الصادق في إيمانه المطيع لربه، والكفور المكذب بآيات الله ولقائه. وقوله تعالى ﴿إنا[3] أعتدنا للكافرين﴾ الآيات شروع في بيان ما أعد لكل من سالكي سبيل الرشد وسالكي سبيل الغي فقال بادئا بما أعد لسالكي سبيل الغي موجزا في بيان ما أعد لهم من عذاب بخلاف ما أعد لسالكي سبيل الرشد فإنه نعيم تفصيله محبوب والإطناب في بيانه مرغوب فقال ﴿إنا أعتدنا للكافرين سلاسلا وأغلالا﴾ يسحبون بها في النار، وأغلالا تغل بها أيديهم في أعناقهم وسعيرا متأججا وجحيما مستعرا. هذا موجز ما أعد لسالكي سبيل الغي أما سالكي سبيل الرشد فقد بينه بقوله ﴿إن الأبرار﴾[4] أي المؤمنين المطيعين في صدق لله والرسول ﴿يشربون من كأس﴾ ملأى شرابا مزاجها كافورا ومزجت بالكافور لبرودته وبياض لونه وطيب رائحته عينا يشرب[5] بها عباد الله لعذوبة مائها وصفائه أصبحت كأنها أداة يشرب بها ولذا قال يشرب بها ولم يقل يشرب منها وقوله يفجرونها تفجيرا أي يجرونها ويسيلونها حيث شاءوا من غرفهم وقصورهم ومجالس سعاداتهم. وقوله ﴿يوفون بالنذر﴾ قطع الحديث عن نعيمهم ليذكر بعض فضائلهم ترغيبا في فعلهم ونعيمهم، ثم يعود إلى عرض النعيم فقال ﴿يوفون بالنذر﴾[6] أي كانوا في دار الدنيا يوفون بالنذر وهو ما يلتزمونه من طاعات لربهم كالصلاة والصيام والحج والصدقات تقرباً

---

(١) الجملة حالية من الإنسان.

(٢) إما حرف تفصيل وهو بسيط عند الجمهور وقال سيبويه هو مركب حرف إن الشرطية وما النافية، ولما تجردت إن من الشرطية وما من النفي أصبحت إما حرف تفصيل بسيط في الواقع وليس مركبا.

(٣) الجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً لأنها واقعة موقع جواب للسؤال عن حال كل من الشاكر والكفور فكان الكلام بياناً لحال كل منهما.

(٤) الأبرار جمع بر وبار، وهو المكثر من فعل البر الذي هو الخير ولذا كان البر من أسماء الله تعالى، قال تعالى: إنا كنا ندعوه من قبل إنه هو البر الرحيم ويجمع البر على بررة.

(٥) جائز أن تكون الباء في بها بمعنى من التبعيضية وجائز أن يكون يشرب مضمناً معنى يروى أي يروى بها عباد الله ومن شواهد هذه الباء قول الشاعر:

شربت بماء البحر ثم تدفقت ... متى لجج خضر لهن نئيج

متى بمعنى في والنئيج مَرٌّ سريع مع صوت والشاهد في بماء البحر.

(٦) النذر هو ما يوجبه المكلف على نفسه في الطاعة بحيث لو لم يوجبه لم يلزمه.

إلى ربهم وتزلفا إليه ليحرزوا رضاه عنهم وتلك غاية مناهم. وقوله ويخافون يوما كان شره مستطيرا[1] أي وكانوا في حياتهم يخافون يوم الحساب يوم العقاب يوما كان شره فاشيا منتشرا ومع ذلك يطعمون الطعام على حبه أي مع حبهم وشهوتهم له ورغبتهم فيه، يطعمونه مسكينا فقيرا مسكنه الفقر وأذلته الحاجة، ويتيما لا عائل له ولا مال عنده، وأسيرا سجينا بعيد الدار نائي المزار لايعرف له أصل ولا فصل يطعمونهم ولسان حالهم أو قالهم يقول إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء تجازوننا به في يوم ما من الأيام ولا شكورا ينالنا منكم. إنا نخاف من ربنا يوما عبوسا أي كالح الوجه مسوداً ثقيلا طويلا لا يطاق. واستجاب الله لهم وحقق بفضله مناهم فوقاهم الله شر ذلك اليوم العبوس القمطرير، ولقاهم نضرة في وجوههم وسرورا في قلوبهم وجزاهم بما صبروا على فعل الصالحات وعن ترك المحرمات جنّة وحريرا، وما سيذكر بعد في الآيات التاليات.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- بيان نشأة الإنسان الأب والإنسان الأبن وما تدل عليه من إفضال الله وإكرامه لعباده.

٢- حاستا السمع والبصر وجودهما معاً أو وجود إحداهما ضروري للتكليف مع ضميمة العقل.

٣- بيان أن الإنسان أمامه طريقان فليسلك أيهما شاء وكل طريق ينتهي به إلى غاية فطريق الرشد يوصل إلى الجنة دار النعيم، وطريق الغي- يوصل إلى دار الشقاء الجحيم.

٤- وجوب الوفاء بالنذر فمن نذر شيئا لله وجب أن يفي بنذره إلا أن ينذر معصية فلا يجوز له الوفاء[2] بنذره فيها فمن قال لله على أن أصوم يوم أو شهر كذا وجب عليه أن يصوم ومن قال لله علي أن لا أصل رحمي، أو أن لا أصلي ركعة مثلا فلا يجوز له الوفاء بنذره وليصل رحمه وليصل صلاته ولا كفارة عليه.

٥- الترغيب في إطعام الطعام للمحتاجين إليه من فقير ويتيم وأسير.

---

(١) يقال استطار الحريق إذا انتشر قال حسان

وهان على سراة بني لؤي　　حريق بالبويرة مستطير

قال قتادة استطار والله شر ذلك اليوم حتى ملأ السموات والأرض.

(٢) ما يروى عن فاطمة وعلي رضي الله عنهما في مرض الحسنين وما نَذَرَا لله في شأنهما حديث موضوع باطل رده أهل العلم جملة وتفصيلا.

مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾
وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ
مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾
وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا
﴿١٨﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا
﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ
خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا
طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾

شرح الكلمات :

على الأرائك	: أي على الأسرة بالحجلة واحد الأرائك أريكة .
ولا زمهريرا	: أي ولا بردا شديدا ولا قمرا إذ هي تضاء من نفسها .
ودانية	: أي قريبة منهم ظلال أشجار الجنة .
وذللت قطوفها تذليلا	: أي بحيث ينالها المؤمن قائما وقاعدا ومضطجعا .
وأكواب	: أي أقداح بلا عُرا .
من فضة	: أي يرى باطنها من ظاهرها .
قدروها تقديرا	: أي على قدر الشاربين بلا زيادة ولا نقص .
ويسقون فيها كأسا (١)	: أي خمرا .
كان مزاجها زنجبيلا	: أي ما تمزج وتخلط به زنجبيلا .
مخلدون	: أي بصفة الولدان لا يشيبون .
لؤلؤا منثورا	: أي من سلكه أو من صدفه لحسنهم وجمالهم وانتشارهم في الخدمة .

(١) في عرف الأولين إطلاق الكأس على الخمر فلا يقال كأس ما لم يكن بها خمر فلذا يطلقون لفظ الكأس على الخمر والآية شاهد ذلك .

وإذا رأيت ثم : أي في الجنة رأيت نعيما لا يوصف وملكا واسعا لا يقدر.
ثياب سندس : أي حرير.
واستبرق : أي ما غلظ من الديباج.
وحلّوا : أي تحليهم الملائكة بها.
شرابا طهورا : أي فائقا على النوعين السابقين ولذا أُسند سقيه إلى الله عز وجل.
إن هذا : أي النعيم.
مشكورا : أي مرضيا مقبولا.

معنى الآيات:

ما زال السياق الكريم في ذكر ما أعد الله تعالى للأبرار من عباده المؤمنين المتقين فقال تعالى ﴿متكئين﴾[1] في الجنة ﴿على الأرائك﴾[2] التي هي الأسرة بالحجال ﴿لا يرون فيها﴾ أي في الجنة ﴿شمسا ولا زمهريرا﴾ إن كان المراد بالشمس الكوكب المعروف فالزمهرير القمر، فلا شمس في الجنة ولا قمر وإن كان المراد بالشمس الحر فالزمهرير البرد وليس في الجنة حر ولا برد وكلا المعنيين مراد وواقع فلاشمس في الجنة ولا قمر لعدم الحاجة إليهما ولا حر ولا برد كذلك. ﴿ودانية عليهم ظلالها﴾ا أي قريبة منهم أشجارها فهي تظللهم ويجدون فيها لذة التظليل وراحته ومتعته وإن لم يكن هناك شمس تستلزم الظل. ﴿وذللت قطوفها تذليلا﴾ أي ما يقطف من ثمار أشجارها مذلل لهم بحيث يناله القائم والقاعد والمضطجع فلا شوك به ولا بعد فيه سهل التناول لأن الدار دار نعيم وسعادة وراحة وروح وريحان ﴿ويطاف عليهم بآنية من فضة﴾ أي يطوف عليهم الخدم الوصفاء بآنية من فضة ومن ذهب ﴿وأكواب﴾ أي أقداح لاعرى لها كانت بفضل الله واكرامه ﴿قواريرا قواريرا من فضة﴾ يرى باطنها من ظاهرها لصفائها مادتها فضة وصفاؤها صفاء الزجاج ولذا سميت قارورة وجمعت على قوارير. ﴿قدروها تقديرا﴾ أي قدرها الخدم الطائفون عليهم بحيث لا تزيد فتفيض[3] ولا تنقص فلا يجمل منظرها. وقوله ﴿ويسقون فيها كأسا﴾ أي خمرا ﴿كان مزاجها﴾ أي ما تمزج به ﴿زنجبيلا﴾ من عين في الجنة ﴿تسمى سلسبيلا﴾[4]. وقوله

---

(١) متكئين منصوب على الحال وصاحب الحال الضمير في وجزاهم.
(٢) الأريكة السرير بالحجلة والحجلة كِلّه تنصب على السرير لتقي الحر والشمس ولا يقال في السرير أريكة ما لم يكن بالحجال كما لايقال للسجل سجلاً مالم تكن الدلو ملأى ولا الذنوب ذنوباً ما لم يكن ملأى، ولا يقال للكأس كأس ما لم تكن ملأى بالخمر ولا يقال مهدي للطبق ما لم تكن عليه الهدية.
(٣) التقدير لكل من أحجامها والمشروب الذي بها.
(٤) يقال شراب سلس وسلسال وسلسل وسلسبيل ما كان في غاية السلاسة.

تعالى ﴿ويطوف عليهم ولدان مخلدون﴾ أي ويطوف على أولئك الأبرار في الجنة ولدان غلمان مخلدون لا يهرمون ولا يموتون حالهم دائما حال الغلمان لا تتغير ﴿إذا رأيتهم﴾ ونظرت إليهم ﴿حسبتهم﴾ في جمالهم وانتشارهم في الخدمة هنا وهناك ﴿لؤلؤا منثورا﴾. ويقول تعالى لرسوله محمد ﷺ ﴿وإذا رأيت ثم﴾ أي هناك في الجنة ﴿رأيت نعيما﴾ لا يوصف ﴿وملكا كبيرا﴾ لا يقادر قدره ﴿عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق﴾ يخبر تعالى أن عاليهم أي فوقهم ثياب سندس أي حرير خضر واستبرق وهو ما غلظ من الديباج. وثياب من استبرق بعضها بطائن وبعضها ظهائر البطائن ما يكون تحت الظهائر وقوله تعالى ﴿وحُلّوا أساور من فضة﴾ أي وحلاهم ربهم وهم في دار كرامته أساور من فضة ومن ذهب أيضا إذ يحذف المقابل لدلالة المذكور عليه نحو سرابيل تقيكم الحر أي وأخرى تقيكم البرد[1] وقوله ﴿وسقاهم شرابا طهورا﴾[2] هذا غير ما ذكر فيما تقدم هذا إكرام خاص وهو أن الله تعالى هو الذي يسقيهم وأن هذا الشراب بالغ مبلغا عظيما في الطهارة لوصفه بالطهور. ويقال لهم تكريما لهم وتشويقا لغيرهم من أهل الدنيا الذين يسمعون هذا الخطاب التكريمي إن هذا النعيم من جنات وعيون وأرائك وغلمان وطعام وشراب ولباس وما إلى ذلك ﴿كان لكم جزاء﴾ على إيمانكم وتقواكم ﴿وكان سعيكم﴾ أي عملكم في الدنيا ﴿مشكورا﴾ أي مرضيا مقبولا.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر صور من الجزاء الأخروي.

٢- حرمة استعمال أواني الذهب والفضة لقول الرسول ﷺ «هي لهم في الدنيا ولنا في الآخرة».

٣- حرمة الخمر لحديث «من شرب الخمر في الدنيا لا يشربها في الآخرة إن مات مستحلا لها».

٤- مشروعية اتخاذ خدم صالحين يخدمون المرء ويحسن إليهم.

٥- حرمة لبس الحرير على الرجال وإباحته للنساء، وكالحرير الذهب أيضا.

---

(١) ومن سورة فاطر يحلون فيها من أساور من ذهب، وفي سورة الحج يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا. قيل حلي الرجل الفضة وحلي النساء الذهب، وقيل تارة يلبسون الفضة وتارة يلبسون الذهب ومن الجائز أن يجمع لهم بين الفضة والذهب ليكون لأحدهم سواران من فضة وسواران من ذهب.

(٢) قال علي رضي الله عنه في قوله تعالى وسقاهم ربهم شراباً طهوراً قال: إذا توجه أهل الجنة إلى الجنة مروا بشجرة يخرج من تحت ساقها عينان فيشربون من إحداهما لتجري عليهم بنضرة النعيم فلا تتغير أبشارهم ولا تشعث أشعارهم أبدا ثم يشربون من الأخرى فيخرج ما في بطونهم من الأذى ثم تستقبلهم خزنة الجنة فيقولون سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين.

إِنَّا
نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ
مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾
وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ
هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَّحْنُ
خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا
﴿٢٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾
وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾
يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾

شرح الكلمات :

نزلنا عليك القرآن تنزيلا : أي شيئا فشيئا ولم ننزله جملة واحدة لحكمة بالغة.

فاصبر لحكم ربك : أي عليك بحمل رسالتك وإبلاغها إلى الناس.

ولا تطع منهم آثما أو كفورا : الآثم هنا عتبة بن ربيعة والكفور الوليد بن المغيرة.

واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا : أي صل الصبح والظهر والعصر.

ومن الليل فاسجد له : أي صل صلاة المغرب والعشاء.

وسبحه ليلا طويلا : أي تهجد بالليل نافلة لك.

يحبون العاجلة : أي الدنيا.

ويذرون وراءهم يوما ثقيلا : أي يوم القيامة.

وشددنا أسرهم : أي قوينا أعضاءهم ومفاصلهم.

وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا : أي جعلنا أمثالهم في الخلقة بدلا منهم بعد أن نهلكهم.

إن هذه تذكرة : أي عظة للناس.

اتخذ إلى ربه سبيلا : أي طريقا إلى مرضاته وجواره بالإيمان والعمل الصالح وترك

الشرك والمعاصي .

في رحمته : أي الجنة .

أعد لهم عذابا أليما : أي في النار والأليم ذو الألم الموجع .

معنى الآيات :

لقد عرض المشركون على رسول الله ﷺ عرضا مفاده أن يترك دعوة الله تعالى إلى عبادته وتوحيده ويعبد ربّه وحده ويترك المشركين فيما هم فيه وله مقابل ذلك مال أو أزواج أو رئاسة وما إلى ذلك فأبى الله تعالى له ذلك وأنزل قوله ﴿إنا نحن[1] نزلنا عليك القرآن تنزيلا فاصبر[2] لحكم ربك﴾ على تحمل رسالتك وتبليغها إلى الناس ﴿ولا تطع منهم﴾ أي من مشركي قريش ﴿آثما﴾ كأبي جهل وعتبة بن ربيعة ﴿ولا كفورا﴾ كالوليد بن المغيرة أي لا تطعهما فيما طلبا إليك وعرضا عليك، وواصل دعوتك واستعن بالصلاة والتسبيح والذكر والدعاء، وفي قوله تعالى ﴿بكرة وأصيلا[3]﴾ إشارة إلى صلاة الصبح والظهر والعصر، وفي قوله ﴿ومن[4] الليل فاسجد له﴾ إشارة إلى صلاة المغرب والعشاء، وقوله ﴿وسبحه ليلا طويلا﴾ صريح في انه التهجد إذ الصلاة نعم العون للعبد ولذا كان ﷺ إذا حز به أمر فزع إلى الصلاة وقوله تعالى ﴿إن هؤلاء يحبون[5] العاجلة﴾ أي الدنيا يعني بهم كفار قريش يحبون الدنيا وسميت بالعاجلة لأنها ذاهبة مسرعة، ﴿ويذرون وراءهم[6] يوما ثقيلا﴾ هو يوم القيامة فلم يؤمنوا ولم يعملوا بما يسعدهم فيه ويذكرهم تعالى بأنه خالقهم وقادر على تبديلهم بغيرهم فيقول ﴿نحن خلقناهم﴾ أي أوجدناهم من العدم ﴿وشددنا أسرهم[7]﴾ أي قوينا ظهورهم وأعضاءهم ومفاصلهم ﴿وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا﴾ أي جعلنا أمثالهم في

---

(١) إنا نحن نزلنا: أي ما افتريته ولا جئت به من عندك ولا من تلقاء نفسك كما يقول المشركون.

(٢) الفاء هي الفصيحة إذ هي واقعة في جواب شرط مقدر أي إذا كان الأمر ما علمت وهي ردهم دعوتك ومطالبتهم بتركها والتخلي عنها مقابل عارض من الدنيا فاصبر لحكم ربك فيهم ولا تطع منهم آثماً أو كفوراً واستعن بالصبر والصلاة.

(٣) الأصيل جمعه الأصائل والأصل كقولك سفائن وسفن قال الشاعر:

ولا بـأس منها إذا دنا الأصُل

وقال آخر في الأصائل وهو جمع الجمع:

لعمري لأنت البيت أكرم أهله ... وأقعد في أفيائه بالأصائل

(٤) من الليل: من للتبعيض أي من بعض الليل لا كله.

(٥) الجملة تحمل التوبيخ والتقريع لأهل مكة لحبهم العاجلة وتركهم الآخرة.

(٦) جائز أن يكون وراءهم بمعنى بين أيديهم ولما لم يعملوا له كانوا كالتاركين له وراءهم غير ملتفتين إليه.

(٧) الأسر: الخلق يقال شديد الأسر أي الخلق والمراد بالخلق الأوصال والمفاصل وفقار الظهر ومن ذلك الشرج فإنه إذا خرج البول أو الغائط تقبض الموضع ولولا هذا التماسك لبقي البول سائلا والعذرة متناثرة.

الخلقة بدلا عنهم وأهلكناهم ولو شاء تعالى ذلك لكان ولكنه لم يشأ مع أنه في كل قرن يبدل جيلا بجيل هذا يميته وهذا يحييه وهو على كل شيء قدير. وفي خاتمة هذه السورة المشتملة على أنواع من الهدايات الكثيرة يقول تعالى ﴿إن هذه تذكرة﴾ أي هذه السورة موعظة ﴿فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا﴾ طريقا إلى رضاه أولا ثم مجاورته في الملكوت الأعلى ثانيا، ولما أعطى تعالى المشيئة قيدها بأن يشاء الله ذلك المطلوب أولا، ومن هنا وجب الافتقار إلى الله تعالى بدعائه والضراعة إليه وهو قوله ﴿وما تشاءون إلا أن يشاء الله﴾ إن الله كان عليما بخلقه وبما يصلحهم أو يُفسدهم حكيما في تدبيره لأوليائه خاصة ولباقي البشرية عامة فله الحمد وله المنة. وقوله ﴿يدخل من يشاء في رحمته والظالمين[1] أعد لهم عذابا أليما﴾ إنه بهذا يدعو كافة البشرية إلى الافتقار إليه ليغنيهم وإلى عبادته ليزكيهم وإلى جواره فيطهرهم ويرفعهم هؤلاء أولياؤه من أهل الإيمان والتقوى ﴿والظالمين﴾ أي المشركين ﴿أعد لهم عذابا أليما﴾ أي أهانهم لكفرهم به وشركهم في عبادته فأعد لهم عذابا مؤلما موجعا نعوذ بالله من عذابه وشديد عقابه.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- حرمة طاعة ذوي الإثم وأهل الكفر في حال الاختيار.

٢- على المؤمن أن يستعين بالصلاة والذكر والدعاء فإنها نعم العون.

٣- استحباب نافلة الليل.

٤- مشيئة الله عز وجل قبل فوق كل مشيئة.

٥- القرآن تذكرة للمؤمنين.

سُورَةُ المُرْسَلَاتِ

مكيّة وآياتها خمســون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ﴿٣﴾
فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا
تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ

(١) والظالمين مفعول لفعل محذوف تقديره ويعذب الظالمين وجملة أعد لهم عذاباً أليماً تفسير للفعل المحذوف.

﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ۝٩ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ۝١٠ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ
۝١١ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ۝١٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ۝١٣ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١٤﴾ ۝١٥

شرح الكلمات :

والمرسلات عرفا	:	المرسلات الرياح الطيبة والعرف المتتابعة .
فالعاصفات عصفا	:	فالرياح الشديدة الهبوب المضرة لشدتها .
والناشرات نشرا	:	الرياح تنشر المطر وتفرقه في السماء نشرا .
فالملقيات ذكرا	:	أي فالملائكة تلقى بالوحي على الأنبياء للتذكير به .
عذرا أو نذرا	:	أي للاعذار بالنسبة إلى أقوام أو إنذار بالنسبة إلى آخرين .
إنما توعدون لواقع	:	أي انما توعدون أيها الناس لكائن لا محالة .
فإذا النجوم طمست	:	أي محى نورها وذهبت .
وإذا السماء فرجت	:	أي انشقت وتصدعت .
وإذا الجبال سيرت	:	أي نسفت فإذا هي هباءمنبث مفرق هنا وهناك .
وإذا الرسل أُقتت	:	أي جمعت لوقت حدد لها لتحضر فيه .
ليوم الفصل	:	أي اليوم الذي يفصل الله تعالى فيه بين الخلائق .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿والمرسلات عرفا﴾(1) هذا بداية قسم لله تعالى أقسم فيه بعدة أشياء من مخلوقاته ولله أن يقسم بما شاء، والحكمة من الإقسام أن تسكن النفوس للخبر وتطمئن إلى صدق المخبر فيه وبذلك يحصل الغرض من إلقاء الخبر على السامعين والمقسم به هنا المرسلات وهي الرياح المتابعة الطيبة العذبة والعاصفات(2) منها وهي الشديدة الهبوب التي قد تعصف بالأشجار وتقتلعها وبالمباني وتهدمها والناشرات نشرا وهي الرياح المعتدلة التي تنشر السحاب وتفرقه أو تسوقه

(١) روى البخاري عن ابن عباس قال قرأت سورة والمرسلات عرفاً فسمعتني أم الفضل (امرأة العباس) فبكت وقالت: بُني أذكرتني بقراءتك هذه السورة إنها لآخر ما سمعت رسول الله ﷺ يقرأ بها في صلاة المغرب.

(٢) العصف: قوة هبوب الريح، والنشر: ضد الطي واستعمل في الإظهار والايضاح. والعصف حالة المضرة والنشر حالة النفع جائز أن يراد بالمرسلات والعاصفات والناشرات الملائكة وكونها الرياح أظهر في التفسير وهو اختيار ابن جرير.

للإمطار وإنزال المطر والفارقات فرقا وهي آيات القرآن الكريم تفرق بين الحق والباطل والملقيات ذكرا عذرا[1] أو نذرا وهي الملائكة تلقى بالوحي على من اصطفى الله تعالى من عباده للاعذار والانذار أي تعذر أناسا وتنذر آخرين هذا هو القسم والمقسم هو الله والمقسم عليه هو قوله جل ذكره إن ما توعدون أيها الناس من خير أو شر لواقع أي كائن لا محالة وعليه فأصلحوا أعمالكم بعد تصحيح نياتكم فإن الجزاء واقع لا يتخلف أبدا ولا يتغير ولا يتبدل ومتى يقع هذا الموعود الكائن لا محالة والجواب يقع في يوم الفصل إذاً فما هو يوم الفصل والجواب يوم يحضر الله الشهود من الملائكة والرسل ويفصل بين الناس ومتى يكون يوم الفصل والجواب إذا النجوم طمست أي ذهب نورها ومحى وإذا السماء فرجت أي انشقت وتصدعت وإذا الجبال نسفت[2] أي فتت وإذا الرسل أقتت أي حدد لها وقت معين تحضر فيه وهو يوم الفصل وما أدراك[3] ما يوم الفصل تفخيم لشانه وإعلام بهوله وقوله تعالى ﴿ويل يومئذ﴾ أي يوم يقع الفصل العذاب الهائل الكبير ﴿للمكذبين﴾ بالله وبآياته ولقائه ورسوله.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء.

٢ـ لله تعالى أن يقسم بما شاء من خلقه وليس للعبد أن يقسم بغير خالقه عز وجل.

٣ـ علامات القيامة وظاهرة الانقلاب الكوني العام وهي انطماس ضوء النجوم وانفراج السماء ونسف الجبال.

٤ـ الوعيد الشديد بالويل الذي هو واد في[4] جهنم تستغيث جهنم من حره للمكذبين بما يجب التصديق به من أركان الإيمان الستة، والوعد والوعيد الإلهيين .

---

(١) قرأ نافع عذراً بإسكان الذال وبضمها في نُذراً وسكن الذال فيهما معاً حفص والنذر اسم مصدر بمعنى الإنذار وكذا عذراً وهما مفعولان لأجله أي لأجل الإعذار والإنذار أي الإعذار للمحقين والإنذار للمبطلين أو البشرى للمؤمنين والنذارة للكافرين.

(٢) نسف الجبال دكها وتصييرها تراباً مفرقاً وتسييرها كالهباء في الهواء.

(٣) ما أدراك: استفهام، وكذا ما يوم الفصل والمراد من الاستفهام الأول الاستبعاد والإنكار ومن الثاني التهويل من شأن يوم الفصل الذي هو يوم القيامة حيث تم الفصل فيه بين الخلائق ويتم بأن يكون فريق في الجنة وفريق في السعير.

(٤) قيل أن هذا الوادي هو مستنقع صديد أهل الشرك والكفر ليعلم أهل العقول انه لا شيء أقذر منه قذارة ولا أنتن منه نتناً ولا أشد مرارة ولا أشد سواداً منه وصفه رسول الله ﷺ بأنه أعظم وادٍ في جهنم.

أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ (١٦) ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ
(١٧) كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ (١٨) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (١٩)
أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ (٢٠) فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ (٢١) إِلَىٰ قَدَرٍ
مَّعْلُومٍ (٢٢) فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ (٢٣) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٢٤)
أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا (٢٥) أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا (٢٦) وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ
شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا (٢٧) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٢٨)

شرح الكلمات :

ألم نهلك الأولين : أي كقوم نوح وعاد وثمود ومن بعدهم إلى البعثة النبوية وذلك بتكذيبهم.

ثم نتبعهم الآخرين : أي إن أُصروا على التكذيب ككفار مكة.

كذلك نفعل بالمجرمين : أي مثل ذلك الهلاك نهلك المجرمين.

ويل يومئذ للمكذبين : أي إذا جاء وقت الهلاك ويل فيه للمكذبين.

من ماء مهين : أي المنيّ والمهين الضعيف.

في قرار مكين : أي حريز وهو الرحم.

إلى قدر معلوم : أي إلى وقت الولادة.

فقدرنا : أي خلقه.

فنعم القادرون : أي نحن على الخلق والتقدير.

كفاتا : أي تكفت الناس أي تضمهم أحياء فوق ظهرها وأمواتا في بطنها.

رواسي شامخات : أي جبال عاليات.

فُراتا : أي عذبا.

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿ألم نهلك الأولين ثم نتبعهم الآخرين كذلك نفعل بالمجرمين﴾ إنه لما أقسم تعالى على وقوع ما أوعد به المكذبين من عذاب يوم القيامة وذكر وقت مجيئه وعلامات ذلك وذكر أن

الرسـل أقتت ليوم الفصل وهو اليوم الذي يفصل فيه تعالى بين الخلائق فيقتص من الظالم للمظلوم، ويجزي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته وتوعد المكذبين بذلك فقال ويل يومئذ للمكذبين دلل هنا على قدرته على إهلاك المكذبين بما سبق له أن فعله بالمكذبين فقال في استفهام تقريري لا ينكر ﴿ألم نهلك الأولين﴾ من الأمم السابقة كعاد وثمود وقوم إبراهيم وقوم لوط إلى زمن البعثة النبوية ﴿ثم نتبعهم الآخرين﴾ فقد أهلك أكابر مجرمي قريش في بدر وقوله ﴿وكـذلـك نفعل بالمجرمين﴾(١) وهو وعيد صريح وحقا والله لقد أهلك المجرمين ولم ينج من الهلاك مجرم وويل يومئذ(٢) للمكذبين وقوله تعالى﴿ألم نخلقكم من(٣) ماء مهين فجعلناه في قرار مكين إلى قدر معلوم فقدرنا فنعم القادرون﴾. هذا استدلال آخر على قدرة الله وعلمه اللذين لايتم البعث والجزاء إلا عليهما قدرة لايعجزها شيء وعلم لا يخفى معه شيء فقال مستفهما استفهاما تقريريا ﴿ألم نخلقكم من ماء مهين﴾ أي ضعيف هو المني ﴿فجعلناه﴾(٤) أي الماء ﴿في قرار مكين﴾ أي حريز حصين وهو الرحم ﴿إلى قدر معلوم﴾ وهو زمن الولادة ﴿فقدرنا﴾(٥) أي خلق الجنين على أحسن صورة أدق تركيب المسافات بين الأعضاء كما بين العينين كما بين اليدين والرجلين كما بين الأذنين كلها مقدرة تقديرا عجيبا لا تزيد ولا تنقص ﴿فنعم القادرون﴾ على الخلق والتقـدير معا والجواب بلى ولم إذاً تكفرون وتكذبون؟ ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ وقوله ﴿ألم نجعل الأرض كفاتا أحياء وأمواتا وجعلنا فيها رواسي شامخات وأسقيناكم ماء فراتا؟﴾ هذا استدلال آخر على قدرة الله على البعث والجزاء والاستفهام فيه للتقرير أيضا ﴿ألم نجعل الأرض كفاتا﴾(٦) أي مكان كفاية مأخوذ من كفت الشيء إذا ضمه إلى بعضه بعضا والأرض ضامة للناس كافية لهم كافتة الأحياء(٧) على ظهرها يسكنون ويأكلون ويشربون والأموات في بطنها لا تضيق بهم أبدا كما لم تضق بالأحياء ﴿وجعلنا فيها﴾ أي في الأرض ﴿رواسي شامخات﴾ أي جبال عاليات

(١) لفظ الإجرام أصبح كالعلم على أهل الشرك والكفر إذ هم الذين أجرموا على أنفسهم بأعظم الذنوب وأشدها إفساداً للروح وهو الشرك والكفر وما بعد الكفر ذنب كما يقال.

(٢) هذا التكرار والتقرير والتأكيد وسيتكرر في عدة آيات في هذه السورة ومعناه قد سبق مع أول ذكره.

(٣) الاستفهام للتقرير وهو لا يخلو من معنى التوبيخ والتقريع للمشركين المكذبين بالبعث والجزاء.

(٤) فجعلناه: الفاء للتفريع والتفصيل لكيفية الخلق.

(٥) قرأ نافع فقدرنا بتشديد الدال وقرأها حفص بالتخفيف فالتخفيف بمعنى قدرنا تقديرا أي فعلناه على تقدير معين، وقدرنا بالتخفيف أي جعلنا على مقدار مناسب ولذا معنى القراءتين واحد وشاهده من الحديث قوله ﷺ في الهلال إذا غم عليكم فاقدروا له أي قدّروا له المسير والمنازل ومن الشائع قولهم قدر على فلان الموت وقدّر عليه الموت بالتشديد والتخفيف.

(٦) قال القرطبي كفاتاً أي ضامة تضم الأحياء على ظهرها والأموات في بطنها وهذا يدل على وجوب مواراة الميت ودفنه، ودفن شعره وسائر ما يزيله عنه. وهو قوله ﷺ قصوا أظافركم وادفنوا قلاماتكم.

(٧) الكفات اسم للشيء الذي يكفت فيه أي يجمع ويضم فيه فهو اسم من كفت إذا جمع فالكفات اسم لما يكفت الوعاء اسم لما يَعِي والضمام اسم لما يضم.

﴿وأسقيناكم ماء فراتا﴾ أي عذبا وهو ماء السماء ناقعا في الأرض وجاريا في الأودية والأنهار والجواب بلى، بلى إذاً مالكم أيها المشركون كيف تكذبون؟ ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ أي ويل لهم إذا حان وقت هلاكهم أي ﴿يوم الفصل وما أدراك ما يوم الفصل؟﴾

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- تقرير عقيدة البعث والجزاء.

٢- الاستدلال على البعث والجزاء بالقدرة والعلم إذ هما أساس البعث والجزاء.

٣- بيان انعام الله تعالى على عباده في خلقهم ورزقهم وتدبير حياتهم أحياء وأمواتا.

٤- بيان أن الناس أكثرهم لا يشكرون.

٥- الوعيد الشديد للمكذبين الكافرين.

ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ
شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ
كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾
هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ
لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾

شرح الكلمات:

انطلقوا إلى ماكنتم به تكذبون: أي من العذاب.

ظل ذي ثلاث شعب : أي دخان جهنم إذا ارتفع انقسم إلى ثلاث شعب لعظمته.

لا ظليل : أي كنين ساتر يكن ويستر.

ولا يغني من اللهب : أي ولا يرد شيئا من الحر.

إنها : أي النار.

بشرر كالقصر : أي الشررة الواحدة كالقصر في عظمته وارتفاعه.

كأنه جمالة صفر : أي الشرر المتطاير من النار الشررة كالقصر في عظمها وارتفاعها

وكالجمل في هيئتها ولونها والجمل الأصفر الأسود الذي يميل إلى صفرة.

هذا يوم لا ينطقون	: أي فيه بشيء.
ولا يؤذن لهم	: أي في العذر.
جمعناكم والأولين	: أي من المكذبين قبلكم.
فإن كان لكم كيد فكيدون	: أي حيلة في دفع العذاب فاحتالوا لدفع العذاب عنكم.

معنى الآيات:

ما زال السياق الكريم في تقرير عقيدة البعث والجزاء التي عليها مدار الحياة كلها قوله تعالى ﴿انطلقوا﴾[1] هذا يقال للمكذبين يوم القيامة وهم في عرصاتها يقال لهم تقريعاً وتبكيتاً انطلقوا إلى[2] ما كنتم به تكذبون وهو عذاب الآخرة ويتهكم بهم ويسخرون منهم فيقولون انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب وهو دخان النار إذا ارتفع يتشعب إلى ثلاث شعب وذلك لعظمته لا ظليل أي ليس هو ظلا حقيقيا كظل لشجرة والجدار فيكن ويستر ولا يغني[3] من اللهب فيدفع الحر وقال تعالى في وصفها ﴿إنها﴾ أي النار ﴿ترمي بشرر كالقصر﴾ الشررة الواحدة كالقصر في كبره وارتفاعه كأنه أي الشرر جمالة صفراء[4] أي الشررة كالجمل الأصفر وهو الأسود المائل إلى الصفرة. ثم قال تعالى ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ يتوعد المكذبين به وبآياته ولقائه ورسوله ﷺ وقوله تعالى ﴿هذا يوم لا ينطقون﴾ أي هذا يوم القيامة يوم لا ينطقون أي فيه بشيء ﴿ولا يؤذن لهم﴾ أي في الاعتذار فهم يعتذرون لا اعتذار ولا إذن به. ولطول يوم القيامة وتجدد الأحداث فيه يخبر القرآن مرة باعتذارهم وكلامهم في موطن، وينفيه في آخر، إذ هو ذاك الواقع في مواطن يتكلمون بل ويحلفون كاذبين وفى مواطن يغلب عليهم الخوف والحزن فلا يتكلمون بشيء وفي مواطن يطلب منهم أن يتكلموا فيتكلموا وفي أخرى لا، ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ وعيد لكل المكذبين بهذا وبغيره وقوله تعالى ﴿هذا يوم[5] الفصل جمعناكم[6] والأولين﴾ أي يقال لهم يوم القيامة وهم

(١) هذا الخطاب للمكذبين في يوم الفصل وهو مقول قول محذوف دل عليه صيغة الخطاب ولذا قلت في التفسير هذا يقال للمكذبين.

(٢) وأعيد لفظ انطلقوا على طريقة التكرير قصد التوبيخ والإهانة.

(٣) الاغناء جعل الغير غنياً أي غير محتاج في ذلك الغرض وعدي الفعل بمن هنا على معنى البدلية أو لتضمينه معنى يبعد.

(٤) قرأ نافع جمالات جمع جمالة بكسر الجيم وقرأ حفص جمالة بالإفراد والجمالة اسم جمع لطائفة من الجمال أي الشررة الواحدة في عظمها كأنها جمالة صفر، والصفرة لون الشرر والصفر جمع أصفر كحمر جمع أحمر.

(٥) تكرير لتوبيخهم، والإشارة في هذا إلى المشهد الذي يشاهدونه في يوم فصل القضاء الذي كانوا ينكرونه ويكذبون به.

(٦) هذا كقوله تعالى (قل إن الأولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم) والمخاطبون في قوله جمعناكم المشركون المكذبون بيوم الفصل.

في عرصاتها هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون جمعناكم فيه أيها المكذبون من هذه الأمة والمكذبين الأولين من قبلها، فإن كان لكم كيد أي حيلة على خلاصكم مما أنتم فيه فكيدون أي احتالوا عليّ وخلصوا أنفسكم يقال لهم تبكيتا لهم وخزيا وهو عذاب روحي أشد ألماً من العذاب الجسماني ﴿ويل[1] يومئذ للمكذبين﴾ أي ويل يوم إذ يجيء يوم الفصل للمكذبين.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- التهكم والسخرية والتبكيت من ألم أنواع العذاب الروحي يوم القيامة.

٢- عرصات القيامة واسعة والمقام فيها طويل والبلاء فيها شديد.

٣- تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر بعض ما يتم فيه.

٤- التكذيب هو رأس الكفر، وبموجبه يكون العذاب.

إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي
ظِلَٰلٖ وَعُيُونٖ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشۡتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا
بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ
لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجۡرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ
لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرۡكَعُواْ لَا يَرۡكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيۡلٞ
يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٠﴾

شرح الكلمات:

إن المتقين : أي الذين اتقوا ربهم فآمنوا به وأطاعوه بفعل ما يحب وترك ما يكره.

في ظلال : أي في ظلال الأشجار الوارفة.

وعيون : أي من ماء ولبن وخمر وعسل.

مما يشتهون : لا مما يجدون كما هي الحال في الدنيا.

إنا كذلك نجري المحسنين : أي كما جزينا المتقين نجزي المحسنين.

كلوا وتمتعوا : أي في هذه الحياة الدنيا.

(١) تكرير للوعيد والتهديد وهو متصل بما قبله اتصال نظائره فيما سبق وفيما يلحق.

وإذا قيل لهم اركعوا : أي صلوا لا يصلون.

بعده يؤمنون : أي بعد القرآن إذ الكتب غيره ليست معجزة والقرآن هو المعجز بألفاظه ومعانيه فمن لم يؤمن بالقرآن ما آمن بغيره بحال من الأحوال.

معنى الآيات:

من باب الترغيب والترهيب وهو أسلوب أمتاز به القرآن الكريم ذكر تعالى ما للمتقين من نعيم مقيم بعد ذكر ما للمكذبين الضالين من عذاب الجحيم فقال تعالى ﴿إن المتقين﴾ وهم الذين اجتنبوا الشركَ والمعاصيَ ﴿في ظلال وعيون﴾ في ظلال أشجار الجنة وعيونها من ماء ولبن وخمر وعسل وفواكه كثيرة منوعة مما يشتهون[1] على خلاف الدنيا إذ الناس يأكلون مما يجدون فلوا اشتهوا شيئا ولم يجدوه ما أكلوه وأما دار النعيم فإن المرء ما اشتهى شيئا إلا وجده وأكله وهذا هو السر في التعبير في غير موضع بكلمة مما يشتهون. ومن إتمام النعيم أن يقال لهم تطييبا لخواطرهم كلوا واشربوا[2] هنيئا أي متهنئين بما كنتم تعملون من الصالحات وتتركون من السيئات. وقوله تعالى إنا كذلك[3] نجزي المحسنين أي كهذا الجزاء الذي جزينا به المتقين نجزي به المحسنين. ويل يومئذ للمكذبين أي بهذا الوعد الكريم. قوله تعالى ﴿كلوا وتمتعوا قليلا إنكم مجرمون﴾. هذا قول الله تعالى لمشركي قريش وكفارها يهددهم الرب تبارك وتعالى ناعيا عليهم إجرامهم حتي يحين وقتهم وقد حان حيث أعلمهم أنهم لا يتمتعون إلا قليلا وقد أهلكوا في بدر. وقوله ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ هو توعد بالعذاب الأليم لمن يكذب بوعيد الله هذا ووعده ذاك. وقوله تعالى ﴿وإذا قيل لهم اركعوا﴾[4] أي صلوا ﴿لا يركعون﴾ أي لا يصلون ولا يخشعون ولا يتواضعون فيقبلون الحق ويؤمنون به، ويل يومئذ للمكذبين بشرائع الله وهداه التاركين للصلاة وقوله تعالى ﴿فبأي[5] حديث بعده يؤمنون﴾ أي فبأي كتاب يؤمن هؤلاء المكذبون إذا لم يؤمنوا بالقرآن وذلك لما فيه من الخير والهدى ولما يدعو إليه من السعادة والكمال كما أنه معجز بألفاظه ومعانيه بخلاف الكتب غيره فمن لم يؤمن به لا يرجى له أن يؤمن بغيره بحال من الأحوال.

---

(١) أي يتمنون إذ أكلهم للذة الأكل لا للحفاظ على الجسم كما هي الحال في الدنيا يأكل الأدمي للبقاء على حياته إذ لو ترك الغذاء هلك.

(٢) هذا مقول قول محذوف أي يقال لهم كلوا واشربوا.

(٣) إن المحسنين هم المتقون، وإنما ذكر صفة الإحسان لأن التقوى التي هي فعل وترك متوقفة على الإحسان الذي هو مراقبة الله تعالى المنتجة إحسان النيات والأعمال الصالحات.

(٤) يذكر أن مالكاً رحمه الله تعالى: دخل المسجد بعد صلاة العصر وهو ممن لا يرى الركوع بعد العصر فجلس ولم يركع، فقال له صبي يا شيخ قم فاركع فقام فركع فقيل له في ذلك قال خشيت أن أكون من الذين (إذا قيل لهم اركعوا لا يركعون).

(٥) الفاء هي الفصيحة أي إن لم تؤمنوا بهذا القرآن فبأي حديث بعده تؤمنون والاستفهام إنكاري تعجبي.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر ما أعد الله تعالى لأوليائه المؤمنين المتقين المحسنين.

٢ـ بيان نعيم أهل التقوى والاحسانوفضلهماأي فضل التقوى والإحسان.

٣ـ صدق القرآن في أخباره إذ وعيد الله لأكابر مجرمي مكة نفذ بعد أقل من خمس سنوات.

٤ـ من دخل مسجدا وأهله يصلون فليدخل معهم في صلاتهم وإن كان قد صلى حتى لا يكون غيره راكعا لله وهو غير راكع وقد جاء في الصحيح هذا المعنى.